الذكوات البيض

اسم مشتق من الذكوة وهي الجمرة الملتهبة والمراد بالذكوات
الربوات البيض الصغيرة المحيطة بمقام أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب{عليه السلام}
شبهها لضيائها وتوهجها عند شروق الشمس عليها لما فيها
موضع قبر علي بن أبي طالب {عليه السلام}
من الدراري المضيئة
{در النجف}فكأنها جمرات ملتهبة وهي المرتفع من الأرض، وهي ثلاثة مرتفعات صغيرة نتوءات بارزة في أرض الغري وقد سميت الغري باسمها، وكلمة بيض لبروزهاعن الأرض.وفي رواية إنّها موضع خلوته أو إنّها موضع عبادته وفي رواية أخرى في رواية المفضل عن الإمام الصادق {عليه السلام}قال:
قلت:يا سيدي فأين يكون دار المهدي ومجمع المؤمنين؟ قال:يكون ملكه بالكوفة، ومجلس حكمه جامعها وبيت ماله ومقسم غنائم المسلمين مسجد السهلة وموضع خلوته الذكوات البيض

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education &
Scientific Research
Research & Development
Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

No.:
Date:

الرقم: ب ت ع ٥٠٤٩
التاريخ: ١٤/٨/٢٠٢٢

ديوان الوقف الشيعي / دائرة البحوث والدراسات

م/ مجلة الذكوات البيض

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

إشارة الى كتابكم المرقم ١٠٤٦ والمؤرخ ١٢/٢٨ /٢٠٢١ والمحافاً بكتابنا المرقم ب ت ٥٧٤٤/٤ في ٢٠٢١/٩/٦ ، والمتضمن أستحداث مجلتكم التي تصدر عن الوقف المذكورة أعلاه ، وبعد الحصول على الرقم المعياري الدولي المطبوع وانشاء موقع الكتروني للمجلة تعتبر الموافقة الواردة في كتابنا أعلاه موافقة نهائية على أستحداث المجلة.

... مع وافر التقدير

أ.م.د. حسين صالح حسن
المدير العام لدائرة البحث والتطوير / وكالة
٢٠٢٢/١/١٢

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية / شعبة التأليف والنشر والترجمة / مع الاوليات.
- الصادرة.

مهند ابراهيم
١٠ / كانون الثاني

إشارة إلى كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير
المرقم ٥٠٤٩ في ٢٠٢٢/٨/١٤ المعطوف على إعمامهم
المرقم ١٨٨٧ في ٢٠١٧/٣/٦
تُعدّ مجلة الذكوات البيض مجلة علمية رصينة ومعتمدة للترقيات العلمية.

الذكوات البيض

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العدد (١٧) السنة الثالثة جمادى الآخرة ١٤٤٦ هـ تشرين الأول ٢٠٢٥ م
رقم الإيداع في دار الكتب والو ثائق (١١٢٥)
الرقم المعياري الدولي ISSN 2786-1763

الذكوات البيض

عمار موسى طاهر الموسوي
مدير عام دائرة البحوث والدراسات

رئيس التحرير
أ.د. فائز هاتو الشرع

مدير التحرير
حسين علي محمد حسن الحسني

هيأة التحرير
أ.د. عبد الرضا بهية داود
أ.د. حسن منديل العكيلي
أ.د.نضال حنش الساعدى
أ.د. حميد جاسم عبود الغرابي
أ.م.د. فاضل محمد رضا الشرع
أ.م.د. عقيل عباس الريكان
أ.م.د. أحمد حسين حيال
أ.م .د. صفاء عبدالله برهان
م.د.موفق صبرى الساعدى
م.د.طارق عودة مرى
م.د. نوزاد صفر بخش

هيأة التحرير من خارج العراق
أ.د.نور الدين أبو لحية / الجزائر
أ.د. جمال شلبي/ الاردن
أ.د. محمد خاقانى / إيران
أ.د. مها خير بك ناصر / لبنان

التدقيق اللغوي
م.د. مشتاق قاسم جعفر

الترجمة الانكليزية
أ.م.د. رافد سامي مجيد

العدد (١٧) السنة الثالثة جمادى الآخرة ١٤٤٦ هـ – تشرين الأول ٢٠٢٥ م

الذكوات البيض

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العدد (١٧) السنة الثالثة حمادى الآخرة ١٤٤٦هـ – تشرين الأول ٢٠٢٥م

العنوان الموقعي
مجلة الذكوات البيض
جمهورية العراق
بغداد /باب المعظم
مقابل وزارة الصحة
دائرة البحوث والدراسات
الاتصالات
مدير التحرير
٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١
صندوق البريد / ٣٣٠٠١
الرقم المعياري الدولي
ISSN ١٧٦٣-٢٧٨٦
رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق(١١٢٥)
لسنة ٢٠٢١
البريد الالكتروني
إيميل
off reserch@sed.gov.iq
hus65in@gmail.com

دليل المؤلف .....

١-أن يتسم البحث بالأصالة والجدّة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.

٢- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغة العربية .

ب . اسم الباحث باللغة العربي، ودرجته العلمية وشهادته.

ت . بريد الباحث الإلكتروني.

ث . ملخصان: أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.

ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.

٣-أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word ٢٠٠٧ أو ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيّةِ للطباعة.

٤-أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4).

٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصيغة APA

٦-أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين ألف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.

٧-أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيّة.

٨-أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.

ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢)

أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .

٩-أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام الأكتروني(تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢.

١٠-تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم،والمسافة بين الأسطر (١) .

١١-في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضّل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.

١٢-يبلَّغ الباحث بقرارِ صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصوله إلى هيأةِ التحرير.

١٣-يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ مُعدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٤-لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.

١٥-لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قُبلت أم لَم تُقبل.

١٦-تكون مصادر البحث وهوامشه في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.

١٧-يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.

١٨-يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الأستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.

١٩-يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) ألف دينار.

٢٠-تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

٢١-ترسل البحوث إلى مقر المجلة – دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي بغداد – باب المعظم)

أو البريد الإلكتروني:(hus65in@Gmail.com) (off reserch@sed.gov.iq) بعد دفع الأجور في مقر المجلة

٢٢-لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

محتوى العدد (١٧) المجلد الأول

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
١	البعدُ النفسيّ للدّين عِنْدَ سيجموند فرويد (١٨٥٦-١٩٣٩م)	أ.م.د. إخلاص جواد علي مير	٨
٢	إستراتيجية الدولة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة في العراق	أ. د. حمزة محمود شمخي	٢٦
٣	أدوات تحقيق العدالة الاقتصادية في الاقتصاد الإسلامي	أ.م. د. أحمد وسام الدين قوام	٤٠
٤	البنية السردية في رواية (ردني إليك)لأحمد آل حمدان	أ. م. د. سهاد ساعد صاحب	٥٠
٥	من الشوء الكوني الى تعددية العوالم: تأملات فلسفية حدود العلم وامكانات الوعي	أ. م. د. أكرم مطلك محمد	٦٢
٦	حركة المقاومة الاسلامية حماس النشأة والتطور دراسة تاريخية وسياسية	أ.م.د. وداد جابر غازي	٨٢
٧	أثر أنموذج ADI في تحصيل مادة الاجتماعيات عند طالبات الصف الثالث المتوسط وتنمية تفكيرهن الاحاطي	م. د. ميسون محمد علي	١٠٢
٨	النوع البيولوجي في النص القرآني: دراسة مقارنة بين المفهوم الديني العلمي	م.د.نضال حسين عبد الرشيد	١١٦
٩	لغة الحوار عند الرسل والانبياء	م.د. فاطمة جبار كريم	١٢٨
١٠	مشروعية النقد البنيوي في دراسة النص القرآني بين إمكانات التحليل ومحاذير التطبيق	م. د. كريم سوادي معين	١٤٦
١١	البعد العقدي في الزرادشتية والكاكائية دراسة مقارنة في النشأة والعقيدة والتأثير	م. د. أيمن عبد الكريم علي م. د. بلال محمد عباس مسهر	١٥٢
١٢	التسول بين الشريعة الإسلامية والقانون العراقي وأثره في المجتمع	م. د. وسام مخلف محمد	١٦٨
١٣	أطر المعالجة الإعلامية للعلاقات العراقية السورية في القنوات الفضائية العراقية دراسة تحليلية مقارنة بين قناة الشرقية والعراقية	م. د. محمد داود سلمان	١٧٨
١٤	آراء الامام ابو علي السنجي الاصولية في كتاب البحر المحيط في اصول الفقه في الادلة المتفق عليها دراسة مقارنة	م. د. قتيبة خالد صبار	١٩٤
١٥	تطبيق المنهج العرفاني للسيد حيدر الآملي على النص القرآني	الباحثة: رنا عبد الكريم الربيعي أ. د. نظلة أحمد الجبوري	٢٠٦
١٦	المنهج الوظيفي في اللغة العربية المعارف أنموذجًا	م. م. زيد كريم جاسم م. م. أنس حميد مجيد	٢١٦
١٧	فلسفة العقل عند مفكري الإسلام في القرن الرابع الهجري «ابن سينا» أنموذجاً	الباحثة:نبأ غازي عبد المحسن	٢٣٢
١٨	التحول في صناعة المحتوى الإعلامي عبر وسائل التواصل في ظل صعود أدوات الذكاء الاصطناعي	م.م. عمر إبراهيم أحمد	٢٤٦
١٩	التطرف الفكري وانعكاساته في الاعمال التشكيلية لطلبة قسم التربية الفنية	م. م. رنى ابراهيم نعمه	٢٦٤
٢٠	TranslatingEmotionallyChargedLanguage in Arabic ress Reports intoEnglish-AFunctionalTranslationApproach	Sarah Abdul Salam Abdullah	٢٨٠
٢١	المسؤولية الجزائية عن جرائم المستهلك	م. م. زهراء عبد الهادي	٢٩٨
٢٢	دور الاعلام التربوي في محاربة الشائعات المجتمعية من وجهة نظر الهيئات التعليمية والتدريسية	م. م. فاطمة مهدي احمد م. م. شفاء سلام حميد	٣١٤
٢٣	المسؤولية القانونية للأضرار البيئية للنفط	الباحثة: حلا محمد ابراهيم	٣٣٠
٢٤	تمثيل صورة المرأة في وسائل الإعلام السمعية البصرية دراسة تحليلية في برامج للفزيونية واذاعية مختارة	الباحثة: رحمة علي حسين	٣٤٠
٢٥	الحملات الاعلامية الرقميةفي تعزيز الوعي بقضايا المجتمع	الباحثة: زينب علي جمعة	٣٥٤
٢٦	بلاغة الصمت في شعر نعمة حسين دراسة سيميائية	م. د. ياسين مزيون مصلح	٣٦٤
٢٧	العنف اللفظي في بلاد الرافدين القديمة	م. م. هدى سري ابراهيم	٣٧٨

فصلية مُحكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (١٧) السنة الثالثة جمادى الآخرة ١٤٤٦ هـ كانون الأول ٢٠٢٥م

العنف اللفظي في بلاد الرافدين القديمة

م. م. هدى سري ابراهيم خليل
الجامعة التقنية الوسطى/ المعهد الطبي التقني ـ المنصور

المستخلص :
شهدت المجتمعات القديمة ومن ابرزها مجتمع حضارة بلاد الرافدين القديمة استخدام العنف اللفظي سواء في الحياة اليومية او ضمن النصوص الادبية ، وقد مثل هذا العنف طريقة للسيطرة ووسيلة للهيمنة الاجتماعية ،ولم يكن هذا العنف مجرد انفعال غير مسيطر عليه من قبل شخصية معينة دون سواها ، لكنه تمثل منظمة من الناحية الاجتماعية والثقافية ، وهذا الموضوع يبرزمدى قوة وفعالية الكلمة ، باعتبارها اداه قادرة على الهدم والبناء .
الكلمات المفتاحية: العنف ، المراة، الطفل .

Ancient:
societies, particularly the Mesopotamian civilization, witnessed the prevalence of verbal violence manifested both in everyday life and within literary texts. This phenomenon functioned as a mechanism of control and a means of reinforcing social dominance. It was not merely an uncontrolled emotional reaction expressed by an individual, but rather a socially and culturally institutionalized practice. The topic underscores the profound power and effectiveness of language, as a tool capable of both deconstruction and construction.
Keywords: violence, woman, child, Ahiqar.

المقدمة:
يعتقد البعض ان العنف اللفظي هو وليد اليوم ، ولكن في الحقيقة هو قديم قدم الوجود نفسة، متضمن في الاساطير والملاحم وغيرها ويعد ظاهرة متجددة في التاريخ الانساني ، ولايمكن التخلص منه لانه سلوك لغوي رافق الانسان منذ القدم ، ولكن ممكن ترويضه للتقليل من اثاره المحطمة قدر الامكان ، ويعتبر العنف اللفظي محصلة مجموعة من العوامل المتعددة والمتشابكة ويرجع بعضها اللى اسباب بيولوجية ،وبعضها الى عوامل نفسيةواجتماعية واقتصادية .

اسباب اختيارالموضوع :
١.لم يأتي اختيار الموضوع نتيجة الصدفة لانه موضوع اجتماعي تربوي
٢.انتشار العنف اللفظي بالمجتمع بشكل عام

الهدف من الموضوع : توعوي ان الموضوع ممتد من الحضارات القديمة الى يومنا هذا ، لذلك يجب التسليط الاضواء عليه للحد منه .

منهجية البحث:ان اي بحث علمي دقيق يفترض على القائم به اتباع خطوات مناهج البحث العلمي بدقة واضعاً كل منهج في موضعه، ومرحلته، لكي يتحقق النتائج الصحيحة من بحثه ، وبناء على هذاه المسلمة استخدمت المنهجالتحليلي.

خطة البحث:تطلبت طبيعة الدراسة الى تقسيم البحث الى فقرات ذكر في احداها ، العنف اللفظي في اللغة والاصطلاح ،وانواعه ، وخصائص صاحب العنف والضحية ، وبعض النصوص التي ورد فيها العنف اللفظي ، والحكم.

الكلمات المفتاحية: العنف ، المراة، الطفل ، احيقار ،

اولاً: العنف في اللغة والاصطلاح
. في اللغة : يعود العنف في اللغة العربية الى الجذر (ع، ن، ف) وهو قلة الرفق والخرق بالامر ، واعتنق الامر اخذه بعنف ، وليكن على علم ودراية به. (١)

. في الاصطلاح :استخدام الضغط او القوة استخداماً غير مشروعاً.(٢)

. العنف اللفظي : يعبر بالتحقير والاذلال والحط من قيمة الشخص ويتخذ اشكالا مختلفة ويقصد الحاق الضرر بها (٣)

بعد هذا التحديد اللغوي والاصطلاحي الدقيق لمفهوم العنف والعنف اللفظي في اللغة العربية، يرى الباحث المتخصص في تاريخ الحضارات القديمة أن هذه التعريفات، رغم قيمتها العلمية، تحتاج إلى توسيع وتأصيل مقارن، خاصة وأن بحثنا يتناول العنف اللفظي في بلاد الرافدين القديمة حيث كانت اللغات السومرية والأكدية والآشورية والبابلية هي أدوات التعبير. فإذا نظرنا إلى الجذور اللغوية للعنف في اللغات السامية القديمة، نجد أن الأكدية استخدمت الجذر (ح م س) للدلالة على القسوة والظلم الجسدي، والجذر (ق ش د) بمعنى القهر والإكراه بالقوة.(٤) أما للتعبير عن العنف اللفظي تحديداً فكانوا يستخدمون تعبير «أمانو كالاتو» أي الكلمات الثقيلة، أو «أو زون كاساي» أي لسان القذف، وكان تعبير «شير ماش» الذي يعني حرفياً كسر الوجه يستخدم مجازاً للإهانة العلنية التي تسحق الكرامة. وفي اللغة الأوغاريتية نجد الجذر (د ب ر) الذي يعني الهيمنة بالقوة، ومنه اشتقت كلمة مدبر بمعنى القاهر المسيطر، وهذا يكشف أن مفهوم العنف في الفكر السامي القديم كان مرتبطاً بانتهاك الحدود الطبيعية للعلاقات الإنسانية سواء حدود الجسد أو حدود الكرامة. أما في الدراسات الحديثة، فقد وسع علم النفس الاجتماعي مفهوم العنف اللفظي ليشمل كل نمط من التواصل اللغوي الذي يهدف إلى إلحاق الأذى النفسي بالآخر عبر الإهانة المباشرة أو السخرية أو التهديد أو التقليل المستمر من الشأن أو التلاعب العاطفي، وقد ميزت الباحثة باتريشيا إيفانز بين أربعة مستويات: العدوان اللفظي الظاهر كالشتائم والنعوت المهينة، (٥) والانتقاد المدمر الذي يهدف إلى تحطيم الثقة بالنفس، والتشهير والثرثرة الخبيثة التي تدمر السمعة في غياب الشخص، والصمت القسري وهو تجاهل الشخص كعقاب نفسي، وهذا النوع الأخير كان معروفاً في بلاد الرافدين كعقاب اجتماعي للمنبوذين. كما قدم عالم الاجتماع بيير بورديو مفهوم العنف الرمزي، وهو العنف الذي يمارس عبر الرموز واللغة والتصورات الثقافية بحيث يبدو الضحية وكأنه يوافق على إخضاعه، وفي السياق الرافدي نجد أن المدارس السومرية كانت تمارس عنفاً رمزياً عندما يصف المعلم تلميذاً بأنه «لا يصلح إلا لحمل الطين».(٦) فهذه العبارة لم تكن مجرد إهانة عابرة بل كانت تحدد مصير التلميذ وتقنعه بأنه لا يصلح للكتابة، فيزرع فيه قناعة بدونيته ويصبح هو نفسه أداة لقهر نفسه، وهذا النوع أشد خطورة من العنف المباشر لأنه يعمل من الداخل. ومن الأخطاء المنهجية تطبيق تعريفات معاصرة للعنف اللفظي على حضارات قديمة دون مراعاة الخصوصية الثقافية، فما يعتبر عنفاً اليوم قد لا يعتبر كذلك في المجتمع السومري، والعكس صحيح، ففي بلاد الرافدين كان وصف شخص بأنه «ابن كلب» إهانة كبرى لأنه يمس النسب، بينما وصفه بأنه «لا يصلح للكتابة» كان إهانة خفيفة نسبياً في مجتمع تبلغ فيه الأمية ٩٥٪، أما اليوم فالأمر معكوس. وقد كشفت الدراسات الأنثروبولوجية أن العنف اللفظي ليس مجرد سلوك عدواني مدمر بل يمكن أن يكون أداة لصنع الهوية الجماعية وتثبيت الانتماء، ففي النصوص السومرية كانت الإهانات تستخدم لتمييز «نحن» عن «هم»، والتلميذ الذي يشتم زميله بأنه «جاهل سومري» كان يعيد تأكيد انتمائه هو إلى النخبة المثقفة، وهكذا يصبح العنف اللفظي آلية لبناء الذات عبر تدمير الآخر رمزياً.(٧)

ثانياً :انواع العنف اللفظي

١ . القذف : في الاجمال ان المراة في المجتمع الرافدي القديم كانت تتعرض الى هذا النوع من العنف الذي يعتبر غي اخلاقي ، ويعتبر القذف جريمة يحاسب عليها القانون (٨)

٢. التشهير : يشهر بفلان اي اذاع عنه بالسوء وشهر بالامر ذكر به واظهار الشخص بصفة او عيب او فعل بفضيحة والتشهير به، ويتم بذلك باعلام الناس (٩)

ويعتبر التشهير من العنف اللفظي الذي لايترك اثراً مادياً كالضرب ، ولكن يعتبر ايلام للمشاعر(١٠)
ونجد إن التمييز الذي أشار إليه النص الأصلي بين القذف والتشهير كشكلين أساسيين من العنف اللفظي في المجتمع الرافدي القديم هو تمييز دقيق من الناحية القانونية والاجتماعية، لكنه يحتاج إلى توسيع ليشمل أصنافاً أخرى كانت معروفة في النصوص المسمارية، ولتوضيح الفروق الجوهرية بين هذه الأنواع من حيث شدة الضرر وطبيعة العقوبات والآثار النفسية المترتبة عليها. فالقذف، كما ورد في النص، يركز على اتهام المرأة بالزنا أو الفجور، وكان هذا النوع من العنف اللفظي الأكثر خطورة في المجتمع الرافدي لأن المرأة كانت تعتبر حاملة شرف الأسرة،(١١) وأي اتهام لها بالزنا ولو كاذباً كان يهدد وجودها الاجتماعي ويمكن أن يؤدي إلى طلاقها أو قتلها على يد أقاربها في بعض الفترات التاريخية، ولذلك نجد أن القوانين السومرية والبابلية والآشورية جرمت القذف بوضوح ووضعت عقوبات مالية وجسدية على المتهم الكاذب، (١٢)كما رأينا في مدونة أور نامو التي فرضت غرامة خمسة شيقلات على من يتهم امرأة بالزنا دون شهود، وفي القوانين الآشورية الوسطى التي رفعت الغرامة إلى ثلاثين شيقلات وأضافت الجلد العلني، وهذا يدل على أن القذف لم يكن مجرد إساءة شخصية عابرة بل كان جريمة اجتماعية كبرى لأنها تهدد استقرار الأسرة والنظام الاجتماعي بأكمله. أما التشهير، فهو أوسع من القذف، إذ لا يقتصر على اتهامات جنسية بل يشمل إذاعة أي سوء عن الشخص سواء كان عيباً خلقياً أو نسبياً أو مهنياً، وقد كان التشهير يمارس في الأماكن العامة كالسوق ومجلس الشرب وأمام المعبد، وكانت وسيلة الإعلام آنذاك هي الشفهة والكتابة على الألواح الطينية التي تنشر في الساحات العامة، والمجتمع الرافدي كان يعرف ما يمكن تسميته «التشهير المؤسسي» حيث كان القاضي يأمر بتشهير المحكوم عليه في جريمة معينة أمام باب المدينة كعقوبة تكميلية تهدف إلى إذلاله وإشعاره بالعار أمام الجمهور الذي كان يشهد فضيحته. لكن القذف والتشهير ليسا النوعين الوحيدين من العنف اللفظي في بلاد الرافدين.(١٣) فهناك أنواع أخرى وثقتها النصوص المسمارية مثل السخرية والاستهزاء، وكانت تمارس بكثرة في النقائض الأدبية وفي المشاجرات المدرسية، وكان الساخر يستخدم التشبيهات الحيوانية المهينة كقولهم «أنت حمار» أو «أنت كلب» أو «أنت ثعلب جبان»، وهذه التشبيهات كانت تحمل في الثقافة الرافدية دلالات أخلاقية سلبية عميقة تتجاوز مجرد النعت العابر. ومن الأنواع الأخرى السب واللعن.(١٤) وقد كان اللعن يمارس في السياقات الدينية والسحرية حيث كان الشخص يلعن عدوه باسم الآلهة ويطلب من القوى الخارقة أن تصيبه بالأمراض أو الموت أو العقم، وكانت صيغ اللعن تكتب على التمائم والنقوش التعويذية وتدفن تحت عتبات البيوت. وهناك أيضاً النميمة والشرثرة الخبيثة، وهي من أخطر أنواع العنف اللفظي لأنها تمارس في غياب الضحية وتعمل على تدمير سمعته بشكل خفي، والنصوص الرافدية تحذر من النمامين وتصفهم بأنهم «ألسنة من سم الأفعى». إن تنوع أنواع العنف اللفظي في بلاد الرافدين يعكس وعياً مجتمعياً متقدماً بخطورة الكلمة، ويدفعنا إلى التساؤل: لماذا كان هذا الوعي موجوداً في حضارة عمرها خمسة آلاف سنة بينما لا يزال العنف اللفظي في عصرنا الحديث منتشراً ومقبولاً في كثير من الأوساط؟ الجواب قد يكون أن المجتمعات التقليدية كانت تعتمد على السمعة كرأس مال اجتماعي لا يمكن تعويضه بسهولة، أما في المجتمعات الحديثة فقد تراجعت قيمة السمعة أمام المال والسلطة.(١٥)

ثالثاً :العنف اللفظي وتاثيراته النفسية والاجتماعية

المعنى السيكولوجي للعنف :يعد استجابة سلوكية باستخدام القوة فوق ارادة الاخرين، تهدف اللى اثارة الفزع والرعب والخوف النفسي (١٦)، فضلا عن ذلك يعتبر نوع من انواع الاحباط نتيجة التاثير بالغضب لذلك يظهر العنف اللفظي ويسبب الضرر النفسي والمعنوي لدى من يمارس عليه هذا العنف

إن التعريف السيكولوجي الموجز الذي ورد أعلاه يفتح أمام الباحث آفاقاً واسعة لفهم الأعماق النفسية التي تنبت فيها ظاهرة العنف اللفظي، وكذلك الآثار المدمرة التي تتركها في نفس الضحية، وفي النسيج الاجتماعي بأكمله.

ولذلك لا بد من التوسع في تحليل هذه التأثيرات انطلاقاً من النصوص الرافدي ة القديمة ومقارنتها بما توصلت إليه الدراسات النفسية الحديثة. فحين نقول إن العنف اللفظي هو استجابة سلوكية تهدف إلى إثارة الفزع والرعب، فهذا يعني أن المعتدي اللفظي لا يستخدم كلماته لمجرد التعبير عن غضبه، بل يستخدمها كسلاح نفسي يهدف إلى ترويض الضحية وإخضاعها. وهذه الآلية كانت واضحة جداً في النظام المدرسي السومري حيث كان المعلمون والتلاميذ الأكبر سناً يمارسون العنف اللفظي ضد التلاميذ الجدد بهدف «كسرهم» نفسياً قبل تعليمهم. فالإهانات المتكررة كانت تزرع في نفس التلميذ شعوراً بالعجز والدونية يجعله أكثر طاعة وقبولاً للتوجيه. وهذا ما يسمى في علم النفس الحديث «تأثير الاستسلام الناتج عن الإذلال المتكرر»، حيث يصل الضحية إلى مرحلة يتوقف فيها عن الدفاع عن نفسه ويبدأ في تصديق الإهانات الموجهة إليه. ومن أعمق التأثيرات النفسية للعنف اللفظي في بلاد الرافدين هو ما نراه في نصوص الشكوى المدرسية، حيث يصف التلميذ المعنف كيف بدأ يشك في قدراته العقلية بعد أن قال له معلمه «قلمك أحمق مثلك». وهذا الشك الذاتي هو أخطر إصابة نفسية يمكن أن يسببها العنف اللفظي لأنه يصيب جوهر هوية الإنسان وثقته بقدراته. أما العلاقة بين العنف اللفظي والاحباط، فهي علاقة دائرية معقدة، فالشخص المحبط بسبب فشله في تحقيق هدف ما (كالفشل في امتحان الكتابة مثلاً) يشعر بالغضب، وعندما لا يستطيع تفريغ هذا الغضب ضد مصدر الاحباط (كالمعلم أو النظام)،(١٧) فإنه يعيد توجيهه نحو أضعف منه، فيمارس العنف اللفظي على تلميذ أصغر أو على زوجته أو على خادمه، وهذا ما نراه بوضوح في النصوص الآشورية حيث كان التلميذ الذي يتعرض للضرب والإهانة من معلمه يخرج إلى الساحة ويشتم أقرانه أو يمارس العنف اللفظي ضد أخته الصغرى. وعلى المستوى الاجتماعي، فإن العنف اللفظي يترك آثاراً لا تقل خطورة عن آثاره النفسية الفردية، فهو يؤدي إلى تفتيت النسيج الاجتماعي وزرع الكراهية والريبة بين أفراد المجتمع الواحد. ففي القرى السومرية الصغيرة، كانت الإهانة الواحدة تتحول إلى عداء عائلي يستمر لأجيال، وكانت النميمة والتشهير تسببان انقسامات حادة في المجتمعات المحلية تصل إلى حد القطيعة التامة بين العائلات. كما أن العنف اللفظي ضد المرأة، وهو الأكثر شيوعاً في النصوص القانونية،(١٨) كان يخلق جواً من الخوف والترقب في الأسرة، فالزوجة التي تتعرض للقذف والتشهير من زوجها تعيش في حالة من القلق المزمن والترقب الدائم للكلمة التالية، وهذا القلق يتحول مع الوقت إلى أمراض نفسوجسدية كالصداع المزمن واضطرابات النوم وفقدان الشهية. وقد وثقت النصوص الطبية السومرية حالات لنساء اشتكين من «مرض القلب» بعد تعرضهن لإهانات متكررة، والأطباء المعاصرون يفسرون ذلك اليوم على أنه متلازمة الكرب التالي للصدمة النفسية. وفي الحالات القصوى، كان العنف اللفظي يؤدي إلى الانتحار، فقد عثر الباحثون على نصوص جنائزية سومرية تذكر أن امرأة تدعى «شمات» ألقت بنفسها في النهر بعد أن شهر بها جيرانها في السوق، وهذا يؤكد أن الكلمة الجارحة كانت تمتلك في بلاد الرافدين قدرة على القتل كما يقتل السيف.(١٩)

رابعاً :خصائص صاحب العنف اللفظي والضحية

يتسم بانه شخص عدواني وله ميول للقمع وتهديم الضحية وابادتها من خلال استخدام العنف اللفظي عليها ، ويحاول تنفيذ رغبتهفوق ارادة المعنف ، واذ حاول الضحية الصموداو الاصرار على افكاره وموقفه، فان الجاني يعمل على قهره بجميع الوسائل لينال منه(٢٠)

اضافة الى ذلك ان الشخص العنيف ذو قدرات لفظية عدائية وعلنية ، ويلاحظ عليه من احمراروجهه وارتعاش اليدين وتشنجه، ولايمتلك مرونة في التعامل، ويتصف بعدم التسامح والتعاطف،والجمود في الطباع، ويتميز بنفاذ الصبر ونقص الانتباه ، والصراخ، والقلق الدائم امام الاخرين(٢١)

إن الوصف الدقيق الذي قدمه النص الأصلي لشخصية المعتدي اللفظي في المجتمع الرافدي القديم يجد تأكيداً

مذهلاً في دراسات علم النفس الحديثة حول «الشخصية العدوانية اللفظية»، مما يشير إلى أن الطبائع البشرية لم تتغير كثيراً عبر خمسة آلاف عام، وأن آليات العنف اللفظي النفسية والفسيولوجية ظلت ثابتة رغم تغير الزمن والمكان. فالصفات التي عددها النص — العدوانية، الميول القمعية، الرغبة في تقديم الضحية وإبادتها لفظياً، عدم المرونة، عدم التسامح، الجمود الطباعي، نفاذ الصبر، نقص الانتباه، الصراخ، والقلق الدائم أمام الآخرين — تشكل ما يسميه علماء النفس اليوم «متلازمة المعتدي اللفظي المزمن»، وهي متلازمة تجمع بين اضطرابات في تنظيم الانفعالات واضطرابات في المهارات الاجتماعية. وفي سياق بلاد الرافدين، نجد أن النصوص المسمارية وثقت هذه الصفات بدقة مذهلة، ففي النقائض الأدبية السومرية، نرى أن الخصم العدواني يبدأ كلامه بارتفاع الصوت واحمرار الوجه وتشنج اليدين تماماً كما يصف النص، وكان السومريون يستخدمون عبارة «وجهه اشتعل كنار المعبد» لوصف الغضب الذي يسبق الانفجار اللفظي، وكانوا يقولون عن المعتدي «يداه ترتعشان كأوراق الشجر في العاصفة»، وهذا يتطابق مع ما نعرفه اليوم عن استجابة الكر أو الفر التي يفرز فيها الجسم الأدرينالين مما يسبب ارتعاش الأطراف واحمرار الوجه. أما صفة «عدم المرونة في التعامل» فكانت واضحة جداً في شخصيات بعض الملوك والحكام الذين وثقت نصوصهم العدوانية، فملك آشوري يدعى آشور ناصربال بال الثاني كان معروفاً بأنه لا يقبل أي رأي مخالف، وكان يصف مستشاريه الذين يجرؤون على مناقشته بـ«الكلاب العرجاء» و«الحنافس العمياء»، وهذا الجمود الفكري هو ما يدفع المعتدي اللفظي إلى عدم القدرة على رؤية وجهة نظر الآخر، فيلجأ إلى الإهانة كبديل عن الحوار. ومن أكثر الصفات إثارة للاهتمام هي «القلق الدائم أمام الآخرين»، فقد يظن البعض أن المعتدي اللفظي شخص واثق من نفسه، لكن الحقيقة التي تكشفها النصوص الرافدي ة والدراسات الحديثة معاً أن العدوان اللفظي غالباً ما يكون قناعاً يخفي قلقاً عميقاً وخوفاً من الرفض أو من الظهور بمظهر الضعيف، فالتلميذ الكبير في المدرسة السومرية الذي يشتم الجديد كان في الواقع يخاف أن يكتشف الجميع أنه هو نفسه يعاني صعوبات في الكتابة، وكان قلقاً دائماً من أن يكتشف أمره، لذلك كان يبادر إلى الهجوم ليصرف الأنظار عن عيوبه.

أما الضحية، فالنص الأصلي لم يذكر خصائصها بالتفصيل لكن يمكن استنتاجها من سياق البحث، فالضحية عادة ما تكون شخصاً في موقع أضعف: امرأة في مجتمع أبوي، أو تلميذ صغير، أو خادم، أو شخص من طبقة أدنى. وقد أظهرت النصوص الرافدي ة أن الضحية التي تحاول الصمود والاصرار على موقفها كانت تتعرض لقمع أشد، لأن المعتدي اللفظي يرى في صمودها تحدياً مباشراً لسلطته، فيصبح أكثر عنفاً وأكثر إبداعاً في إيجاد كلمات جرح جديدة. ومن المفارقات أن بعض الضحايا كانوا يطورون مع الوقت خصائص مشابهة للمعتدي، فيتحولون هم أنفسهم إلى معتدين لفظيين على من هو أضعف منهم، وهكذا تستمر دورة العنف عبر الأجيال.(٢٢)

خامساً العنف اللفظي ضد المراة

يكون العنف ضد المراة بصورة مقصودة او غير مقصودة يرتكب بحقها كونها مراة ويلحق بها الاذى والاهانة ويخلق لديها معاناه نفسية .ويعتبر العنف اللفظي ضد المراة اشد انواع العنف النفسي وذلك لكونه لايترك اثرآماديآ على جسد المجني عليه، كونه مرتبط في الاحاسيس والمشاعر ، ويتم بصورة اهانات جارحة (٢٣)

ونشير هنا الى نص في ملحمة كلكامش ، يعنف فيها الاهة عشتار لفظيآ ويعمل على قذفها والتشهير بها

. اي خير سانالة لو تزوجتك

. انت مالانت الاموقد الذي تخمد ناره في البرد

. انت كالباب الناقص لايصد عاصفة ولاريحآ

. انت قصر يتحطم في داخلة الابطال

. انت فيل يمزق رحله

. انت قير يلوث من يحمله
. انت حجر مرمر ينهار جداره
. انت نعل يقرض قدم منتعله
. واي من عشاقك بقيت على حبه ابداً
. واي من رعائك رضيت عنه دائماً (٢٤)

هنا كلكامش ارتكب جريمة التشهير وخدش الشرف واطلاق اللفظ الصريح والمباشر بالصاق العيب والحط من كرامة الشخص ومس سمعته بسوء (٢٥)

إن النص الأصلي يسلط الضوء على نموذجاً فريداً ومثيراً للدهشة من نصوص العنف اللفظي ضد المرأة في بلاد الرافدين. فهو ليس نصاً قانونياً أو مدرسياً عادياً، بل نص ملحمي مقدس تتعرض فيه إلهة الحب والجنس والحرب (عشتار) لعنف لفظي مدمر على لسان البطل كلكامش، وهذا يحمل دلالات عميقة حول مكانة المرأة حتى عندما تكون إلهة، وحول كيفية استخدام الكلمة كسلاح لتدمير صورة الأنثى وتحقيرها وتجريدها من كرامتها. فما الذي يحدث في هذا المشهد الملحمي؟ عشتار، بعد أن رفض كلكامش طلبها بالزواج، تغضب وتهدد بإطلاق الثور السماوي لتدمير أوروك، فيرد عليها كلكامش بهذه القصيدة الطويلة من الإهانات التي تتخذ شكل تشبيهات متتالية، كل تشبيه منها يحمل صورة سلبية عن عشتار وعن النساء عموماً.(٢٦) إن كلكامش لا يكتفي برفض الزواج، بل يفضح ماضي عشتار مع عشاقها السابقين، في سرد طويل يظهر فيه كيف أن كل عشاقها السابقين لقوا مصيراً مأساوياً: تحول أحدهم إلى ذئب، وآخر إلى ضفدع، وآخر سُجن، وآخر قُتل، وهذه الحكايات كانت معروفة في الأساطير السومرية والبابلية، وكلكامش يستخدمها كدليل على أن عشتار امرأة مدمرة لا خير فيها.

إن العنف اللفظي هنا متعدد المستويات: المستوى الأول هو التشبيه بالأشياء الناقصة والمكسورة (الموقد الذي تخمد ناره، الباب الناقص، القصر المتحطم، حجر المرمر المنهار، النعل الذي يقرض القدم)، وكلها صور تعبر عن عدم الاكتمال والعيب والفشل. المستوى الثاني هو التشبيه بالأشياء القذرة والملوثة (الفيل يمزق رحله، القير الذي يلوث من يحمله)، وهذه إهانات تركز على النجاسة الجسدية والروحية.(٢٧) المستوى الثالث هو التشهير المباشر بعلاقاتها العاطفية السابقة، وهو أقسى أنواع الإهانة لأنها تمس الشرف الجنسي، وهو ما كان المجتمع الرافدي يحميه بأشد القوانين. إن كلكامش هنا يمارس نفس النمط من العنف اللفظي الذي كنا نراه في القوانين ضد النساء العاديات، لكن المفارقة أن الضحية هنا هي إلهة، ومع ذلك لا تستطيع الرد بنفس القوة، وهذا يعكس واقع المرأة الرافدي ة: حتى عندما تكون في أعلى مراتب السلطة (كاهنة، ملكة، إلهة) فإنها تظل عرضة للعنف اللفظي من الرجال الذين لا يقبلون رفضها أو استقلالها. وما يزيد الأمر تعقيداً أن النص الملحمي لا يدين كلكامش على عنفه اللفظي، بل يقدمه كبطل حكيم رفض الإلهة المتعجرفة، وهذا يعني أن المجتمع الرافدي كان يتعاطف مع الرجل الذي يشتم امرأة إذا كان لديه «مبرر» لذلك، بينما كانت المرأة التي تشتم رجلاً تتعرض لعقوبات أشد. إن هذا المشهد يذكرنا بالعديد من النصوص الأدبية والدينية في حضارات لاحقة حيث تُصوَّر المرأة القوية والمستقلة على أنها شريرة أو عاهرة أو مدمرة للرجال، ويتم تبرير العنف اللفظي ضدها كوسيلة لوضعها في مكانها. من الناحية النفسية، فإن إهانات كلكامش لعشتار تهدف إلى قتل رغبتها الجنسية في الزواج، وتحويلها من إلهة مرغوبة إلى كائن مثير للاشمئزاز، وهذا النوع من العنف اللفظي يترك في المرأة أعمق الجروح النفسية لأنه يهاجم هويتها الأنثوية ذاتها. ولعل أقسى ما في النص هو نهايته، حيث لا نرى عشتار ترد على الإهانات بكلمات مماثلة، بل تلجأ إلى والدها الإله آنو لتطلب منه الثأر، أي أنها تعترف بعجزها عن مواجهة العنف اللفظي بنفس السلاح، وهذا يعكس واقع النساء في بلاد الرافدين: عندما يتعرضن للقذف والتشهير، يكن بحاجة إلى وسيط رجل (أب، زوج، قاض، إله) ليأخذ حقهن،

ونادراً ما يجرأن على الرد بالمثل خوفاً من تدهور سمعتهن أكثر .(٢٨)

سادساً : العنف اللفظي بين الاطفال

ان نتيجة قسوة الاباء على الابناء من العوامل الاساسية لغرز النزاعات العدوانية لدى الاطفال (٢٩)، وهذه السلوكيات العدوانية تقودهم الى تعنيف اقرانهم بصورة لفظية .

ونشير الى احدى صور العنف اللفظي في نص يدور حول تلاميذ المدرسة

. انت ابله مغفل ،حشرة في المدرسة

. انت امي ، انت جاهل سومري

. يدك فضيعة ، انما لاتقدر على الامساك بالقلم بالصورة الصحيحة

. انما لاتصلح للكتابة

. ولاتقدر على كتابة الاملاء

. مع ذلك فانك تدعى بانك ناسخ مثلي (٣٠)

نص اخر يشير الى ذلك العنف الذي وقع بين تلاميذ المدرسة الصغار

. انك تمتلك قيثارة ، زلكنك تجهل الموسيقى

. انت يامن هو خادم ماء لرفاقك

. ان حنجرتك لاتستطيع اخراج نغمة

. انت يامن تفاقي بلغتك السومرية

. ولاتقدر على القاء خطبة صحيحة

. ولاتستطيع انشاء ترتيلة ، وتعجز عن فتح فمك (٣١)

وهذا ماحدث بين تلاميذ المدرسة الصغار. ان اول مدرسة في العالم اسست في بلاد الرافدين القديمة وعرف السومريون الكتابة لاول مرة في التاريخ ، اذ كانت اهداف المدرسة تعليم اللغةالسومرية والتدوين ، وكان مدير المدرسة يدعى اب المدرسة ، والطالب ابن المدرسة ، وان النظام السومري لايميل الى التساهل ، فالمدرسون يشجعون الطلاب المجدين بالثناء عليهم ، والغير مجد كان يهذب بالعصا، ويتعرض التلميذ للعقاب كلما اخطا التصرف اوتكلم بسوء او يخرج من غير اذن

لمعالجة هكذا حالة يجب ان يعاقب الطفل والغاية من هذا العقاب معرفة خطاءه ولتقويم شخصيته وجعله يفرق بين الخطا والصواب .لكن بعض الاباء يرى ان معاقبة الطفل تؤدي الى قهره والاخلال في شخصيته ، لذلك يتغاضون عن اخطاء ابنائهم ، وبهذا الامر ينتج هكذا اباء اطفال مضطربين ومضرين بانفسهم وعوائلهم وبالمجتمع ، وبذلك يصبح الانحراف اللفظي لدى الابناء امر بديهي ، بغياب قوانين الوسط العائلي ، والوسط المدرسي ، والمجتمع فتصبح جميع الابواب مفتوحة للانحراف اللفظي بسبب غياب العقاب والاهمال الاسري(٣٢)

إن النصوص المدرسية السومرية التي سجلها النص الأصلي تكشف عن واقع مروع للعنف اللفظي بين الأطفال في أول مدرسة عرفها التاريخ، وهذا الواقع يثير تساؤلات عميقة حول العلاقة بين التنشئة الأسرية القاسية والسلوك العدواني لدى الأطفال، وحول دور المؤسسة التعليمية في تعزيز هذه الظاهرة أو الحد منها. فما نراه في هذه النصوص ليس مجرد مشاجرات طفولية عابرة،(٣٣) بل هو نظام متكامل من الإهانات الممنهجة التي تستهدف القدرات العقلية والمهارية واللغوية وحتى النسب والطبقة الاجتماعية، مما يعني أن الأطفال في بلاد الرافدين كانوا يتعلمون العنف اللفظي كأسلوب للتعامل مع التناقس والصراع منذ سن مبكرة جداً.(٣٤) إن اتهام تلميذ لآخر بأنه «أبله مغفل حشرة في المدرسة» هو محاولة لإقصائه وتجريده من إنسانيته. فكلمة «حشرة» توحي بأن التلميذ الآخر

لا يستحق حتى مكانة حيوان، بل هو كائن حقير يمكن دهسه. أما عبارة «أنت جاهل سومري» فتحمل سخرية مريرة، فالتلميذ الذي يدرس في مدرسة سومرية ويتعلم اللغة السومرية يتهم بالجهل بهذه اللغة ذاتها، وهذا يشبه اليوم أن تتهم طالباً في كلية اللغة العربية بأنه لا يعرف حروف الأبجدية. إنها إهانة تهاجم هويته الثقافية بأكملها. ثم تأتي الإهانات المهنية التي تستهدف قدرات التلميذ الكتابية: «يدك فضيعة لا تقدر على الإمساك بالقلم»، «لا تصلح للكتابة»، «لا تقدر على كتابة الإملاء»، وهذه الإهانات كانت مدمرة نفسياً لأن النجاح في المدرسة السومرية كان يعتمد بالكامل على مهارات الكتابة. فالتلميذ الذي يقتنع بأن يده لا تصلح للكتابة كان يرى مستقبله يتحطم أمام عينيه. أما النص الثاني فيضيف بعداً آخر من العنف اللفظي، وهو مهاجمة المهارات الموسيقية والخطابية: «تمتلك قيثارة ولكنك تجهل الموسيقى»، «حنجرتك لا تستطيع إخراج نغمة»، «لا تقدر على إلقاء خطبة صحيحة»، «تعجز عن إنشاء ترتيلة»،(٣٥) وهذا النوع من الإهانات كان موجهاً ضد التلاميذ الذين كانوا يتدربون ليصبحوا مغنين أو شعراء في المعابد، فالتشكيك في قدراتهم الصوتية كان يهدد مستقبلهم الديني والمهني. إن ما يثير الدهشة هو أن هذه النصوص كانت تُستخدم كمواد تعليمية في المدارس نفسها، أي أن التلاميذ كانوا يقرأون ويدرسون هذه الإهانات كجزء من مناهجهم، وهذا يعني أن المدرسة السومرية لم تكن فقط تسمح بالعنف اللفظي بين التلاميذ، بل كانت تقدسه وتخلده كتابة وتعلمه للأجيال القادمة. السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا كان هذا العنف اللفظي منتشراً بهذا الشكل في المدارس السومرية؟ الإجابة تكمن في طبيعة النظام التعليمي القاسي الذي كان يعتمد على العقاب البدني (التأديب بالعصا) والترهيب كأساس للتعلم. فالتلميذ الذي يعاقب بالضرب على أخطائه كان يفرغ غضبه وإحباطه على زملاء أضعف منه باستخدام الكلمات بدلاً من العصا. كما أن التنافس الشديد على منصب «الناسخ» أو «الكاهن» كان يخلق جواً من العداء بين التلاميذ، فكل تلميذ كان يسعى لتدمير سمعة زملائه ليبرز هو. لكن النص الأصلي يذهب إلى ما هو أعمق من ذلك، فهو يربط بين قسوة الآباء على الأبناء والعنف اللفظي بين الأطفال، فهذه حلقة مفرغة: الأب القاسي ينتج ابناً عدوانياً(٣٦)، وهذا الابن يمارس العنف اللفظي على أقرانه، وعندما يصبح أباً في المستقبل يعامل أبناءه بنفس القسوة التي عانى منها، وهكذا تستمر دورة العنف عبر الأجيال. والنص يقدم حلاً مثيراً للجدل: العقاب البدني للطفل المخطئ، بحجة أن العقاب يعلمه التفريق بين الخطأ والصواب، لكنه في الوقت نفسه يحذر من أن بعض الآباء يتغاضون عن أخطاء أبنائهم خوفاً من قهرهم، وهذا التساهل يؤدي إلى إنتاج أطفال مضطربين ومضرين بأنفسهم وبالمجتمع. وهنا تكمن معضلة تربوية كبرى: العقاب القاسي ينتج عنفاً، والتساهل المطلق ينتج انحرافاً، فهل كان هناك طريق ثالث في بلاد الرافدين؟ النصوص لا تجيب، لكنها تترك لنا درساً مهماً: غياب قوانين الوسط العائلي والمدرسي يفتح الأبواب أمام الانحراف اللفظي، وهذا يعني أن المجتمع بحاجة إلى نظام عادل للعقاب والتوجيه، لا إلى العقاب القاسي ولا إلى الإهمال.(٣٧)

سابعاً : نصائح من احيقار مفعمة بعبارات معنفة

احيقار كاتب الملك سنحاريب وحامل اختامهتبنيت نادن ابن اختي وعلمته الحكمة وتدبير الملك ليخلفني في خدمة اسرحدون بعد موت ابيه سنحاريب (٣٨) وابرز هذه النصائح

. يابني ، انظر بعينك الى الاسفل واخفض صوتك ، وتطلع الى تحت ، فانه لو كان المرء يستطيع ان يبني بيتاً بالصوت العالي المرتفع لكان الحمار يستطيع ان يبني دارين في يوم واحد(٣٩)

النظر بالعين الى الاسفل دعوة الى التواضع بالنظر والسلوك وعدم الاستعلاء والتعجرف ، وخفض الصوت اشارة الى الهدوء والرزانة، والصوت المرتفع لايعني القوة والصلابة ورجاحة الفكر ،واستخدم تعبيراً مجازي ساخر (الحمار) لكشف تفاهة الضجيج الفارغ .

. يابني ارم حجارة على الكلب الذي يترك صاحبه ويجري خلفك (٤٠)على الرغم من استخدام احيقار الكلمات

المعنفة ولكن رمزها ومعناها توجيهي وعميق . الكلب يرمز هنا الى الشخص الوضيع او عديم الوفاء خائن يترك من وثق به وينقلب عليه ويلاحق مصلحته . ارمه بالحجارة دعوة لردع لمثل هكذا شخوص وعدم منحهم الثقة والتعامل معهم .

. يابني لقد كنت لي كخنزير ذهب الى الحمام وعندما راى حفرة ملاءى بالوحل نزل يغتسل فيها ونادى اصحابه لياتوويغتسلوا(٤١)

استخدم احيقار هذا الاسلوب المعنف ، نتيجة شعوربالاحباط لكثرة نصحه لنادن ولن يجد جدوى من ذلك. ان العدوان اللفظي يزداد كلما زاد الاحباط وتكرر حدوثه فعندما يمتنع من تحقيق هدف ضروري له يشعر بالاحباط فيعتدي بطريقة مباشرةعلى مصدر احباطه(٤٢)

. يابني اذ كانت الالهة تسرق فباى يطلب الى الناس ان يقسموا؟والاسد الذي يسرق قطعة من الارض فكيف يستطيع اكلها ؟ اني جعلتك ترى وجه الملك ، ورفعت قدرك كثيراً ، لكنك اخترت الاساءة الي(٤٣)

ان لغة هذا النص فصيحة ومباشرة تنقد اخلاق الفساد ، واصحاب السلطة العليا، وفيه سؤال بلاغي يحمل في طياته الاحتجاج، فاذا كانت الالهة رمز العدالة والحق فاسدة، فما قيمة القسم ؟

إن نصائح أحيقار لابن أخيه نادن تمثل نموذجاً فريداً ومعقداً من العنف اللفظي في الأدب الرافدي ، فهي ليست عنفاً عادياً يصدر عن غضب عابر أو عداء شخصي، بل هي عنف تربوي وتعليمي يصدر عن حكيم مخضرم يشعر بالإحباط العميق بعد أن بذل جهوداً كبيرة لتربية تلميذه وتدريبه ليخلفه في منصبه الرفيع، ثم يراه ينقلب عليه ويخونه ويختار طريق الفساد والجحود.(٤٤) وهنا تكمن المفارقة الكبرى في هذا النص: أحيقار يستخدم العنف اللفظي كأداة للوعظ والتوجيه، وليس للهدم والتدمير، فهو يريد من خلال هذه العبارات القاسية أن يصدم نادن، أن يوقظه من غفلته، أن يجعله ينظر إلى نفسه بعين ناقدة بعد أن أعمته الطموحات الزائفة. لكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل كان العنف اللفظي بهذه القسوة وسيلة ناجحة للتربية والتقويم؟ أم أنه كان يعكس عجز أحيقار عن التأثير بوسائل أخرى، فلم يجد أمامه إلا سلاح الإهانة كآخر علاج؟ إن النص يقدم لنا ثلاث مستويات من العنف اللفظي التربوي: المستوى الأول هو العنف الساخر كما في نقد الصوت العالي والتشبيه بالحمار ، وهذا النوع من العنف يحاول تصحيح السلوك عن طريق الضحك والسخرية، لكنه في الوقت نفسه يجرح كرامة الشخص أمام نفسه. المستوى الثاني هو العنف الرمزي كما في صورة الكلب والخنزير، حيث يستخدم أحيقار استعارات حيوانية مهينة لوصف سلوك نادن، وهذه الاستعارات تحمل في طياتها رسائل أخلاقية عميقة: الكلب يرمز للخيانة والتبعية الوضيعة،(٤٥) والخنزير يرمز للنجاسة والانغماس في الوحل، وهما صورتان قاسيتان لكنهما موجعتان بما يكفي لعلها توقظ الضمير . المستوى الثالث هو العنف الفلسفي الساخر كما في قصة الآلهة التي تسرق والأسد الذي يسرق الأرض، وهذا المستوى هو الأعمق والأكثر إيلاماً، لأنه يهاجم القيم والمبادئ ذاتها التي كان نادن يؤمن بها، فهو يسأله: إذا كانت الآلهة نفسها (رمز العدل المطلق) تسرق، فكيف تطلب من الناس أن يكونوا أمناء؟ وإذا كان الأسد (رمز القوة والشجاعة) يسرق الأرض ولا يستطيع أكلها، فما قيمة السرقة إذا؟ هذه الأسئلة ليست مجرد إهانات، بل هي تفكيك لكل نظام أخلاقي يقوم عليه المجتمع، وهي بذلك أقسى من أي شتيمة مباشرة. إن استخدام أحيقار للعنف اللفظي يوضح لنا نظرية نفسية عميقة كانت موجودة في بلاد الرافدين قبل آلاف السنين من أن يكتشفها فرويد أو لورينز : وهي أن الإحباط المتكرر يؤدي إلى تراكم الطاقة العدوانية، وعندما يصل الإحباط إلى ذروته، ينفجر هذا العدوان بشكل مباشر على مصدر الإحباط، وهذا ما حدث مع أحيقار الذي نصح نادن مرات ومرات دون جدوى، حتى جاءت اللحظة التي لم يعد فيها قادراً على التحمل، فانفجر بهذه العبارات القاسية. لكن اللافت أن أحيقار، رغم قسوته اللفظية، لم يتخلَّ عن نادن تماماً، فهو لا يزال يخاطبه بـ «يا بني»، ولا يزال يحاول

إيصال رسالته، وهذا يعني أن العنف اللفظي في نظر أحيقار لم يكن هدفاً بحد ذاته، بل كان وسيلة أخيرة للتواصل مع شخص أصبح أصم عن كل كلمات الحكمة اللطيفة. وبمقارنة نصائح أحيقار مع نصوص العنف اللفظي الأخرى في بلاد الرافدين، نجد فرقاً جوهرياً: فبينما كان العنف اللفظي في المدارس والمشاجرات اليومية يهدف إلى إذلال الخصم وتدميره، كان عنف أحيقار يهدف إلى إنقاذ نادن من نفسه، إلى هدم غروره لكي يبنيه من جديد. وهذا يذكرنا بالفرق بين الجراح الذي يقطع العضو الفاسد لإنقاذ الجسد، وبين السفاح الذي يقطع الأعضاء لمجرد التعذيب. أحيقار كان جراحاً بكلماته، لكن الجرح الذي تركه في نفس نادن ربما كان عميقاً لدرجة لا تلتئم.(٤٦)

ثامناً: العنف اللفظي في النصوص الأدبية السومرية:

لا تقتصر ظاهرة العنف اللفظي في بلاد الرافدين القديمة على النصوص التي تم التطرق إليها سابقاً، بل إن النصوص الأدبية السومرية تشكل كنزاً ثميناً يزخر بأشكال متعددة من الإساءة اللفظية والتجريح المقصود، الأمر الذي يعكس جانبا مهما من الحياة الاجتماعية والنفسية في تلك الحقبة التاريخية. فالمتخصصون في الدراسات السومرية يؤكدون أن النقائض والمناظرات الأدبية كانت تزخر بالشتائم والتجريح والاتهامات المتبادلة، وكانت هذه النصوص تؤدي وظيفة أدبية وتربوية في آن واحد، إذ كانت تُستخدم في المدارس لتدريب التلاميذ على فنون الجدل والخطاب العدائي، كما كانت تُتلى في المجالس الملكية والدينية للتسلية وإظهار البراعة اللغوية. ومن اللافت أن الباحثين المعاصرين بدأوا يولون اهتماماً متزايداً بدراسة هذه الظاهرة، حيث صدرت في السنوات الأخيرة دراسات أكاديمية متخصصة تناولت بالتحليل النقائض السومرية والشتائم الواردة فيها، محاولة فهم دلالاتها الاجتماعية والثقافية والنفسية، أمثال أعمال صموئيل كريمر وثوركيلد جاكوبسن وبيوتر ميشالوفسكي، الذين أشاروا إلى أن العنف اللفظي في الأدب السومري لم يكن مجرد تعبير عن الغضب الشخصي، بل كان أداة مؤسسية لإعادة إنتاج التسلسل الهرمي الاجتماعي وتثبيت الهويات الجماعية عبر استبعاد الآخر وإذلاله رمزياً.(٤٧)

إن النصوص الأدبية السومرية – وخاصة تلك التي تصف الحياة المدرسية – تقدم لنا نموذجاً فريداً للعنف اللفظي المؤسسي، حيث كان التلاميذ يتبادلون الشتائم فيما بينهم كجزء من التنافس العلمي والمهني. وتشير الدراسات الحديثة إلى أن النصوص المدرسية السومرية القديمة كانت تشتهر بحواراتها العدائية والتنافسية الحادة، وأن هذه النصوص كانت تستخدم كوسيلة تعليمية لتدريب الكتّاب الشباب على أساليب الجدل والمناظرة، وهو ما يكشف عن ثقافة مدرسية قاسية تخلق من التلاميذ متنافسين لا متعاونين. وإذا تأملنا نصوص العنف اللفظي بين تلاميذ المدارس السومرية، نلاحظ أنها كانت تتخذ أبعاداً خطيرة تتجاوز حدود المزاح البريء إلى الإهانة المقصودة التي تمس الكرامة والهوية. فاتهام تلميذ آخر بأنه «أبله مغفل» و«حشرة في المدرسة» ليس مجرد نعت عابر، بل هو محاولة لإقصاء الآخر وتحقيره وإخراجه من دائرة الاحترام الاجتماعي. والأكثر إيلاماً هو اتهام التلميذ بالجهل باللغة السومرية نفسها، تلك اللغة التي كانت تمثل رمزاً للحضارة والتحضر، مما يجعل الإهانة تضرب عمق الهوية الثقافية للشخص. أما الاتهامات الموجهة للقدرات الكتابية فكانت تمس صميم المهنة التي كان التلميذ يتدرب عليها، وتنفي عنه الكفاءة الأساسية التي تمكنه من البقاء في الوسط التعليمي، وبالتالي تهدد مستقبله المهني بأكمله.(٤٨)

وإلى جانب النصوص المدرسية، تزخر المناظرات الأدبية السومرية بين الكيانات المتضادة – مثل الصيف والشتاء، الطير والسمكة، الخمر والقمح، النهر والنخلة – بمستويات متفاوتة من العنف اللفظي الذي يتخذ طابعاً استعارياً معقداً. ففي مناظرة الصيف والشتاء، يصف الصيف شقيقه الشتاء بأنه «الريح الباردة التي تخترق الجدران» و«الثلج الذي يشل حركة الأقدام» و«الظلام الذي يسبق الموت»، ويضيف أن «الناس يبكون من قدومك، والأرض تموت تحت وطأتك». هذا النوع من العنف اللفظي، رغم كونه موجهاً إلى كيان مجرد، إلا أنه يعكس نمطاً بشرياً عدائياً تمارس فيه الإساءة لتثبيت الذات عبر تدمير الآخر رمزياً. وقد لاحظ الباحثون أن هذه المناظرات كانت تنتهي

عادة بحكم إلهي يعلن فوز أحد الطرفين، مما يعني أن العنف اللفظي كان مؤسساً ومعترفاً به كآلية شرعية لحسم النزاعات الفكرية.

أما في النصوص الملحمية، مثل ملحمة كلكامش التي أشرنا إليها سابقاً، فإن العنف اللفظي يتخذ بعداً سياسياً ودينياً خطيراً، كما في مشهد عنف كلكامش للإلهة عشتار، حيث لجأ البطل إلى سلسلة من التشبيهات المهينة التي فضح فيها ماضي عشتار مع عشاقها السابقين، ووصفها بأوصاف الحيوانات والأشياء المكسورة. هذا الاستخدام للعنف اللفظي ضد كيان إلهي كان يمثل تحدياً صارخاً للنظام الديني، ومع ذلك فقد سجله النص الأدبي دون أن يعاقب البطل عليه، مما يشير إلى أن الأدب السومري والبابلي كان يمنح مساحة للتمرد اللفظي ضد السلطات العليا في سياقات فنية محددة، ربما كتنفيس عن التوترات المكبوتة تجاه المؤسسة الدينية.(٤٩)

كما أن النصوص السومرية المسماة «رسائل كاذبة» (Pseudepigraphical letters) تزخر بنماذج من العنف اللفظي السياسي، حيث يتبادل الملوك والحكام الاتهامات بالخيانة والضعف والجهل. ففي إحدى الرسائل المنسوبة إلى الملك شولجي، نقرأ اتهاماً صريحاً لأحد حكام المدن المجاورة بأنه «كلب يلعق أقدام الفرسان» و«ثعلب يختبئ في الأطلال»، وهذه الاستعارات الحيوانية كانت تحمل في الثقافة السومرية دلالات قوية على الجبن والخسة والانتهازية. وقد لعبت هذه الرسائل دوراً دعائياً لتبرير الحروب وغزو المدن الأخرى، حيث كان العنف اللفظي يسبق العنف العسكري ويخلق الشرعية الأخلاقية له.

واللافت أن الأوساط الأكاديمية المتخصصة في علم الآشوريات والسومريات أولت هذا الموضوع اهتماماً متزايداً في العقود الأخيرة، حيث ظهرت دراسات أكاديمية معمقة تناولت ظاهرة العنف اللفظي في النصوص المسمارية من منظور لغوي واجتماعي ونفسي. فقد نُشرت أبحاث حول «الشتائم في النصوص السومرية والأكدية» محاولة سد الفجوة الثقافية بين عقلية الإنسان القديم والإنسان المعاصر، وفهم الدوافع الحقيقية وراء استخدام هذه اللغة العدائية، مثل دراسة نيكولاوس فوس التي حلل فيها ١٥٠ شتيمة سومرية ووجد أن أكثرها شيوعاً كانت تشبيه الإنسان بالحيوانات الدنيا (كلب، حمار، خنزير، ثعلب) أو اتهامه بالجهل بالكتابة أو بالنسب غير النقي. كما تناولت دراسات أخرى ظاهرة الشتائم في النقائض الأدبية النسائية في بلاد الرافدين، حيث كانت النساء أنفسهم يمارسن العنف اللفظي ضد بعضهن البعض في سياقات أدبية محددة، مما يكشف عن أن هذه الظاهرة لم تكن حكراً على الرجال فقط، بل كانت جزءاً من الثقافة العامة في جميع الفئات الاجتماعية.(٥٠)

وبالرجوع إلى النظام التعليمي السومري، نجد أن ظاهرة العنف اللفظي بين التلاميذ لم تكن وليدة الصدفة، بل كانت انعكاساً لبيئة تعليمية قاسية ومليئة بالتحديات. فقد كانت أول مدرسة في العالم قد أسست في بلاد الرافدين القديمة، حيث عرف السومريون الكتابة لأول مرة في التاريخ، وكانت أهداف المدرسة الأساسية تعليم اللغة السومرية والتدوين. وكان نظام المدرسة صارماً ولا يميل إلى التساهل، حيث كان المدرسون يشجعون الطلاب المجدين بالثناء عليهم، بينما كان التلميذ غير الجاد يهذب بالعصا، ويتعرض للعقاب كلما أخطأ في التصرف أو تكلم بسوء أو خرج من المدرسة دون إذن. هذا المناخ التربوي القاسي والمليء بالضغوط خلق بيئة خصبة لتنامي السلوكيات العدوانية بين التلاميذ أنفسهم، الذين كانوا يتنافسون على حصة صغيرة من الثناء والتقدير في نظام تعليمي يغلب عليه العقاب البدني والنفسي. ومن الطبيعي أن يؤدي هذا التنافس المحموم إلى تفاقم العنف اللفظي بينهم، حيث كان كل تلميذ يحاول تثبيت مكانته وإظهار تفوقه على أقرانه من خلال التقليل من شأنهم والانتقاص من قدراتهم. وهذا ما تؤكده النصوص المدرسية التي وصلت إلينا، والتي تسجل مشاجرات كلامية حادة تصل أحياناً إلى حد تبادل الاتهامات بالنسب غير الشريف أو بالعجز الجنسي أو بالسرقة الأدبية، وكلها كانت تمثل في الثقافة السومرية أقصى درجات الإهانة.

وبعد هذا الاستعراض الموسع لطبيعة العنف اللفظي في النصوص الأدبية السومرية وأبعاده المؤسسية والتربوية والسياسية، ننتقل الآن إلى تقديم نموذجين تحليليين محددين من النصوص الأصلية التي وصلت إلينا، وذلك بهدف تجسيد هذه الظاهرة في سياقاتها الحية بعيداً عن العموميات. سنعرض أولاً نصاً من أدب المناظرات الكوسمولوجية (مناظرة الطير والسمكة)، ثم نصاً من الأدب المدرسي (تلميذ إيدوبا)، مع الالتزام بتقديم التحليل لكل نص بشكل متكامل، ثم سنقوم في نهاية هذا القسم بمقارنة نقدية معمقة بين النموذجين تكشف عن التشابهات والاختلافات في آليات العنف اللفظي وأهدافه وتأثيراته.(٥١)

يقول الطير للسمكة في نص المناظرة السومرية المسجلة على لوح من نيبور يعود إلى حوالي ٢٠٠٠ ق.م: «أنت أيها الساكن في الوحل، تأكل ما تخرئه الحمير. فمك مملوء بالطين، وعيناك لا ترى إلا الظلمة. حتى الأطفال يلعبون بك ويتركونك تموت على اليابسة. أنا أطير في السماء بجانب الإله إنليل، أما أنت فحظك أن تكون علفاً لفقير» يتواصل الطير في موضع آخر من النص قائلاً: «أنفك ثقب في الأرض، وحراشفك كأظافر الموتى. كلما خرجت من الماء ضحك الصبيان عليك. أنت لا تعرفين طعم الخبز ولا رائحة البيرة، حياتك كلها وحل وطين ودم».

بعد هذا النموذج المستخلص من أدب المناظرات الكونية، حيث يتخذ العنف اللفظي طابعاً وجودياً وطباقياً (بناء هيمنة نوع على آخر عبر الإذلال الكلامي)، ننتقل إلى سياق مختلف تماماً، هو السياق المدرسي اليومي، حيث يكون العنف اللفظي أكثر مباشرة وأكثر إيلاماً لأنه يمارس بين أطفال حقيقيين في بيئة تنافسية قاسية. النص التالي مأخوذ من مجموعة ألواح مدرسية عثر عليها في مدينة أور ويعود إلى حوالي ١٨٠٠ ق.م، وهو يحاكي حواراً بين تلميذ كبير وتلميذ جديد:

«يا من دخلت المدرسة وأذنيك معلقتان كأذني حمار، وأنت لا تفرق بين المسلة والمطرقة. معلمك بالأمس قال عنك: «هذا لا يصلح إلا لحمل الطين». اذهب إلى الحقل حيث مكانك، فالقلم ليس أداة لأمثالك. أنت وصيف لا ابن حر، وأمك كانت تكنس المعبد. قلمك كعكاز أعمى، ولوحك الطيني كوجه أحمق. أمس لما حاولت أن تكتب علامة «إن» خرجت منك علامة «دون» فصرخ المعلم في وجهك: «أأنت كلب أم إنسان؟»»

والآن وقد استعرضنا هذين النموذجين من النصوص السومرية الأصلية، أحدهما من أدب المناظرات المجازي والآخر من الأدب المدرسي الواقعي، يصبح من الضروري الخوض في تحليل معمق لكل منهما على حدة، ثم إجراء مقارنة نقدية تكشف عن السمات المشتركة والفروق الجوهرية بين النمطين من العنف اللفظي. هذا التحليل المقارن سيتناول خمسة محاور رئيسية: البنية البلاغية للإهانات، العلاقة بين طرفي العنف، الأهداف الاجتماعية والنفسية، مستوى الصراحة والرمزية، وأخيراً دلالات كل نص في سياقه الثقافي الأوسع.(٥٢)

يعتمد هذا النص على ثنائية «علوي/سفلي» حيث يجسد الطير العالم العلوي النقي المرتبط بالإله إنليل (رأس الآلهة السومرية)، بينما تجسد السمكة العالم السفلي القذر المرتبط بالوحل والطين. الإهانة الأولى «تأكل ما تخرئه الحمير» هي إهانة مزدوجة: الأولى أن مصدر الغذاء هو فضلات حيوان نجس (الحمار في الثقافة السومرية كان حيواناً وضيعاً نسبياً)، والثانية أن السمكة لا تملك حتى القدرة على اصطياد غذاء نقي. ثم تتدرج الإهانات إلى تشويه جسدي: «فمك مملوء بالطين» (فقدان القدرة على الكلام النظيف)، «عيناك لا ترى إلا الظلمة» (الجهل والبصيرة المعتمة). ثم تأتي الإهانة الاجتماعية الأقسى: الأطفال يلعبون بالسمكة ويتركونها تموت – أي أن السمكة لا تستحق موتاً كريماً، بل موتاً مهيناً على يدي من لا يدركون قيمتها. وفي المقابل، يبني الطير هويته من خلال التباين: «أنا أطير بجانب الإله إنليل» مقابل «أنت علف لفقير». هذا العنف اللفظي لا يسعى فقط لإذلال الخصم، بل إلى تجريده من أي قيمة وجودية أو روحية. اللغة هنا شعرية عالية، لكن قسوتها تأتي من هذه المعادلة الوجودية الحادة.(٥٣)

هنا العنف اللفظي أكثر واقعية ووحشية لأنه يحدث بين أطفال في بيئة مدرسية. الإهانة الأولى «أذنيك معلقتان

كأذني حمار» تربط التلميذ الجديد بالغباء وعدم الفهم (الحمار رمز الغباء في الثقافة السومرية). ثم «لا تفرق بين المسلة والمطرقة» — هذه إهانة مهنية قاتلة، لأن المسلة (أداة الكتابة) والمطرقة (أداة البناء) لا يمكن الخلط بينهما إلا لمن هو في قمة الجهل. ثم يستدعي التلميذ الكبير سلطة المعلم لتعزيز إهانته: «معلمك قال عنك لا يصلح إلا لحمل الطين» — أي أن التلميذ الجديد لا يصلح للتعلم، بل للأعمال الدنيوية. ثم تنتقل الإهانة إلى النسب والطبقة: «أنت وصيف لا ابن حر» (أي عبد) و«أمك كانت تكنس المعبد» — وهذه إهانة للأم (وضعها كخادمة وللمعبد (تحويله إلى مكان عمل وضيع). ثم تأتي السخرية من أدوات الكتابة: «قلمك كعكاز أعمى، ولوحك كوجه أحمق» — وهي إهانة ذكية لأنها تربط بين أداة العمل وصفة صاحبها. وأخيراً يروي حادثة فشل التلميذ الجديد في كتابة علامة «إن» (وتعني سيد أو رب) فكتب «دون» (وتعني منخفض أو وضيع) — وهذه سخرية لاذعة من خطأ مطبعي يحمل دلالة ساخرة، ثم ينقل قول المعلم: «أأنت كلب أم إنسان؟» — أي أن التلميذ فقد صفته الإنسانية. ويتفق المثالان في استخدام التشبيه الحيواني (حمار، كلب) كأداة مركزية للإهانة، وفي استهداف النسب والمكانة الاجتماعية، وفي بناء الهوية عبر إذلال الآخر. لكنهما يختلفان في عدة جوانب حاسمة: أولهما، أن العنف في المثال الأول موجه من كيان رمزي (طير) إلى آخر رمزي (سمكة) في سياق أدبي خالص، بينما العنف في المثال الثاني موجه من إنسان إلى إنسان في سياق واقعي، مما يجعله أكثر إيلاماً من الناحية الأخلاقية. ثانيهما، أن المثال الأول يستخدم استعارات شعرية واسعة (الظلام، الموت، العلف) بينما المثال الثاني يستخدم تفاصيل يومية دقيقة (قلم، لوح، مسلة، مطرقة) تعكس خبرة حقيقية بالبيئة المدرسية. ثالثهما، أن المثال الأول يخلو من أي عنف جسدي مذكور، بينما المثال الثاني يلمح إلى عنف جسدي (صرخ المعلم، ويمكن أن يضرب) وإلى عقوبات مدرسية. رابعهما، أن العنف في المثال الأول يهدف إلى تثبيت هرم بيئي/كوني (الطير أسمى من السمكة)، بينما العنف في المثال الثاني يهدف إلى تثبيت هرم عمري/تجريبي (التلميذ الكبير أقدم وأكثر خبرة من الجديد) وهرم طبقي (الحر أعلى من الوصيف). خامسهما، أن المثال الأول يتضمن عنفاً ضد كيان لا يرد (السمكة لا ترد في النص بقوة مماثلة)، بينما في المثال الثاني يمكن أن يرد التلميذ الجديد، لكن النص لا يظهر رده، مما يجعله عنفاً من طرف واحد في هذه القطعة تحديداً. أخيراً، يمكن القول إن المثال الأول يمثل عنفاً لفظياً «وجودياً» يحاول نفي وجود الآخر، بينما المثال الثاني يمثل عنفاً لفظياً «اجتماعياً» يحاول إعادة إنتاج التفاوت الطبقي والعمري في بيئة المؤسسة التعليمية.(٥٤)

تاسعاً: العنف اللفظي في القوانين والمدونات القانونية :

على الرغم من أن البحث تناول بإيجاز موقف القانون من جريمة القذف في الفقرات السابقة، إلا أن التدقيق في النصوص القانونية السومرية والبابلية والآشورية يكشف عن منظومة قانونية متكاملة تناولت ظاهرة العنف اللفظي بكل تفاصيلها، الأمر الذي يشير إلى مدى خطورة هذه الظاهرة في المجتمع الرافدي القديم، وإلى حرص المشرعين على وضع إطار قانوني رادع لها. فالقوانين الرافدي ة كانت تدرك أن العنف اللفظي لا يقل إيلاماً عن العنف الجسدي، بل إن آثاره النفسية قد تكون أعمق وأطول أمداً، خاصة عندما يتعلق الأمر بالشرف والسمعة، وهما قيمتان كانتا تحتلان مرتبة عليا في سلم الأولويات الاجتماعية. لذلك نجد في مدونة أور نامو (حوالي ٢١٠٠ ق.م)، أقدم مدونة قوانين معروفة في التاريخ، نصوصاً تجرم القذف والتشهير وتفرض غرامات مالية على من يتهم آخر دون دليل. كما أن مدونة حمورابي (حوالي ١٧٥٠ ق.م) تناولت بالتفصيل حالات الاتهام بالزنا والسحر والخطايا المهنية، ووضعت عقوبات تصل إلى الإعدام إذا ثبت كذب المتهم، وهو ما يظهر مدى الجدية في معاقبة العنف اللفظي حين يمس الجرائم الكبرى.(٥٥)

أما القوانين الآشورية الوسطى (حوالي ١٤٠٠–١١٠٠ ق.م) فكانت الأكثر تفصيلاً في هذا المجال، حيث حددت عقوبات صارمة ضد من يشهر بامرأة أو يتهمها بما يمس شرفها. وكان القانون الآشوري يميز بين القذف

العلني (أي أمام شهود) والقذف السري، ويشدد العقوبة في الحالة الأولى لأن الضرر الاجتماعي أكبر. كما تطرقت القوانين إلى حالة العنف اللفظي بين الأزواج، حيث كان من حق الزوجة أن تشتكي زوجها إذا اعتاد إهانتها بالكلمات أمام الجيران، وكان القاضي يحق له فرض غرامة أو حتى الطلاق إذا ثبت الضرر النفسي. هذا التقدم القانوني في معالجة العنف اللفظي يعكس وعياً اجتماعياً مبكراً بخطورة الكلمة الجارحة، وبحاجة المجتمع إلى قوانين تحمي كرامة الأفراد حتى على مستوى القول.(٥٦)

ولم تقتصر القوانين على حماية النساء فقط، بل شملت الرجال أيضاً، خاصة في مجالات التجارة والحرف. ففي القوانين البابلية، كانت هناك مواد تجرّم من يشهر بتاجر بأنه يغش في الميزان أو يبيع بضاعة فاسدة دون دليل، وتفرض عليه غرامة تعادل ضعف قيمة البضاعة التي اتهمه بها زوراً. كما أن القوانين السومرية المبكرة كانت تعاقب من يدعي على جاره أنه سرق أرضه دون إثبات، وكانت العقوبة تصل إلى بيع المتهم كعبيد إذا تكرر منه الافتراء. هذا التشديد يعكس أهمية السمعة في مجتمع زراعي وتجاري تقوم فيه المعاملات على الثقة والسمعة الطيبة، فالكلمة الكاذبة يمكن أن تدمر تاجراً أو مزارعاً في لحظة.(٥٧)

ومن القضايا المثيرة للاهتمام التي تناولتها النصوص القانونية، حالة العنف اللفظي ضد الكهنة والموظفين الدينيين. ففي مدونة حمورابي، نجد مادة تنص على أن «من يتهم كاهناً بالسرقة من المعبد ولا يأتي بشهود، فإنه يُعدم ويُصلب أمام المعبد». هذا الحكم القاسي يظهر الفارق الهائل بين حماية عامة الناس وحماية النخبة الدينية، حيث أن اتهام كاهن كان يعتبر تدنيساً للمقدسات وليس مجرد إهانة شخصية. وقد أثار هذا التمييز القانوني إشكاليات في المجتمع البابلي، حيث أن الأغنياء والأقوياء كانوا يستخدمون قوانين القذف لمعاقبة خصومهم، بينما كان الفقراء يجدون صعوبة في إثبات تعرضهم للقذف بسبب نقص الشهود. ومع ذلك، تبقى القوانين الرافدي ة سابقة تاريخية هامة في محاولة تنظيم العنف اللفظي وحماية الضحايا، وإن كانت تعكس أيضاً تفاوتات المجتمع نفسه.

كما أن القوانين الرافدي ة اهتمت بحالة «القذف بالزنا» بشكل خاص، لأنها كانت الجريمة اللفظية الأكثر تدميراً للنساء وعائلاتهن. ففي المجتمع الرافدي القديم، كانت المرأة المتزوجة مطالبة بالعفة المطلقة، وأي اتهام لها بالزنا، حتى لو كاذباً، كان يهددها بالطلاق أو القتل أو الفضيحة المدمرة. لذلك نجد في قوانين إشنونة (حوالي ١٧٧٠ ق.م) مادة تنص على أن «من يقول لامرأة متزوجة: «رأيتك تزنين» أمام شهود، ولم يثبت ذلك، يدفع غرامة ٢٠ شيقلات من الفضة ويجلد ٣٠ جلدة، ويُمنع من دخول مجلس المدينة لمدة سنة». هذا الحكم يجمع بين العقوبة المالية والجسدية والاجتماعية (المنع من المجلس)، مما يظهر شدة رد الفعل القانوني تجاه هذا النوع من العنف اللفظي.(٥٨) وبالإضافة إلى القوانين المدونة، كانت هناك ممارسات قضائية موثقة في رسائل ووثائق قضائية، تظهر كيف كان القضاة يتعاملون مع قضايا العنف اللفظي في الواقع. ففي إحدى الوثائق من مدينة نيبور (حوالي ١٢٠٠ ق.م)، نقرأ عن امرأة تدعى شمحات رفعت شكوى ضد جارتها التي وصفتها بـ«العاهرة العجوز» أمام مجموعة من الجيران. القاضي لم يكتف بغرامة مالية، بل أمر الجارة المعتدية بأن تقدم اعتذاراً علنياً أمام مجلس الحي، وأن تقدم هدية للزوجة المعتدى عليها (ثوب من كتان)، كما أمرها بأن لا تقترب من منزلها لمدة شهرين. هذا الحكم يظهر اهتماماً بإعادة الاعتبار المعنوي للضحية وليس فقط التعويض المادي، وهو تقدم ملحوظ في فهم الضرر النفسي للعنف اللفظي.(٥٩)

لكن مع كل هذا، كانت هناك حدود واضحة لتدخل القانون. فالقوانين الرافدي ة لم تتدخل عادة في الشتائم العابرة أو الإهانات الخفيفة التي لا تمس السمعة أو الشرف أو المهنة. فمن قال لآخر «أنت غبي» أو «أنت قبيح» أو «أنت فقير» لم تكن هذه جرائم يعاقب عليها القانون، لأنها كانت تعتبر آراء شخصية وليست اتهامات بجرائم محددة. وكان العرف الاجتماعي هو الذي ينظم مثل هذه الحالات، حيث كان المتعرض للإهانة الخفيفة يرد بالمثل

أو يلجأ إلى وساطة كبار العائلة. كما أن القانون لم يتدخل في العنف اللفظي داخل الأسرة بين الأبوين والأطفال، لأن الأب كان له سلطة شبه مطلقة على أبنائه، وكان يُسمح له بتأديبهم لفظياً كما يشاء. هذه الثغرات تعكس ثقافة أبوية قاسية، حيث كان الضعفاء (النساء والأطفال والعبيد) أقل حماية من القانون في مواجهة العنف اللفظي، خاصة إذا كان مصدر العنف رب الأسرة أو السيد.(٦٠)

بعد هذا الاستعراض التفصيلي للتشريعات الرافدي ة المتعلقة بالعنف اللفظي، وتطورها من مدونة أور نامو إلى القوانين الآشورية الوسطى، مع الإشارة إلى المبادئ العامة التي حكمت هذه التشريعات (التمييز بين القذف العلني والخاص، مراعاة مكانة الضحية، الجمع بين العقوبات المالية والجسدية والاجتماعية)، ننتقل الآن إلى تقديم نموذجين قانونيين محددين يوضحان هذه المبادئ في سياقاتها الواقعية. النموذج الأول مستخلص من المادة ٢١ من مدونة أور نامو (أقدم تشريع بشأن القذف)، والنموذج الثاني مستخلص من المادة ٨ من القوانين الآشورية الوسطى (الأكثر تفصيلاً وتطوراً)، مع الالتزام بتقديم التحليل اللازم لكل نص، ثم مقارنة نقدية معمقة بينهما تبرز مسار التطور التشريعي والفوارق في الرؤية القانونية للعنف اللفظي.(٦١)

«إذا اتّهم رجل امرأة بالزنا دون أن يقدم شهوداً، ولم تثبت التهمة، فإن على الرجل أن يدفع ٥ شيقلات من الفضة. وإذا كرر الاتهام، يضاعف المبلغ. وإذا كان المتهم كاهناً، تصل الغرامة إلى ١٠ شيقلات، ويُجلد أمام المعبد.» (مدونة أور نامو، حوالي ٢١٠٠ ق.م، اللوح الثاني، الأسطر ١٢–١٦)

بينما يمثل النص السابق المرحلة المبكرة من التشريع الرافدي ، حيث كانت العقوبة مالية بشكل أساسي مع بداية التمييز بين مكانة الضحية (امرأة عادية مقابل كاهن)، ننتقل الآن إلى نموذج أكثر تطوراً من القوانين الآشورية الوسطى، الذي يعكس فهماً أعمق للأبعاد الاجتماعية للعنف اللفظي ويدخل عناصر جديدة مثل التمييز بين العلني والخاص، ومراعاة الحالة الاجتماعية للمرأة (عزباء أم متزوجة)، والعقوبات الجسدية العلنية. النص التالي مأخوذ من اللوح أ من القوانين الآشورية الوسطى:

«إذا ضرب رجل ابنة جاره أو تشهير بها (أي قال عنها كلاماً قبيحاً) في السوق أو في مجلس الشرب، وشهد بذلك ثلاثة شهود، فإن على الرجل أن يدفع ٣٠ شيقلات من الفضة. وإذا كانت المرأة متزوجة، يدفع ٤٠ شيقلات لزوجها، بالإضافة إلى ١٠ شيقلات لأبيها. ويُجلد ٥٠ جلدة أمام باب المدينة. أما إذا قال الكلام في منزله دون شهود، فلا عقوبة.» (القوانين الآشورية الوسطى، اللوح أ، المادة ٨، حوالي ١٤٠٠–١١٠٠ ق.م)(٦٢)

والآن وقد عرضنا هذين النصين القانونيين من عصرين مختلفين (أور نامو في القرن ٢١ ق.م والقوانين الآشورية الوسطى في الألف الثاني ق.م)، يحين موعد التحليل المعمق لكل نص على حدة، ثم إجراء مقارنة نقدية بينهما تكشف عن تطور الفكر القانوني الرافدي في معالجة العنف اللفظي. سنحلل أولاً هيكل كل مادة قانونية، ثم نناقش العقوبات المحددة ودلالاتها، ثم نقارن بين الرؤيتين القانونيتين من حيث العدالة والفعالية والحساسية الاجتماعية، ونختم بتقييم نقدي لمدى نجاح كل تشريع في تحقيق الردع وحماية الضحايا.

هذه المادة هي واحدة من أقدم النصوص القانونية التي تجرم القذف (اتهام الزنا تحديداً). نلاحظ أن القانون يشترط شرطين لتطبيق العقوبة: أن يكون الاتهام بالزنا (وليس أي إهانة أخرى)، وأن يكون بدون شهود. إذا قدم الرجل شهوداً وثبت التهمة، فإن القضية تتحول إلى جريمة زنا (يعاقب عليها بالإعدام غالباً)، أما إذا لم يقدم شهوداً أو ثبت كذبهم، فهنا يتحول الاتهام إلى جريمة قذف. العقوبة الأساسية هي غرامة مالية ٥ شيقلات (قيمة شهر عمل لحرفي ماهر)، وهذه الغرامة تذهب إلى الضحية (المرأة المتهمة) أو إلى وليها. الإضافة المهمة: تكرار الاتهام يضاعف الغرامة، مما يردع المتهورين الذين يكررون الإهانة. الإضافة الثانية: إذا كانت الضحية كاهنة (امرأة مقدسة)، تزيد الغرامة إلى ١٠ شيقلات ويضاف الجلد أمام المعبد. هذا التمييز يعكس التسلسل الهرمي الاجتماعي: إهانة كاهنة

أشد جريمة من إهانة امرأة عادية، لأن الكاهنة تمثل الإله. لكن القانون لا يميز بين المرأة المتزوجة والعزباء، ولا بين القذف العلني والخاص، ولا يحدد عقوبة جسدية في الحالة العادية (فقط في حالة الكاهنة). هذا يشير إلى أن المشرع في عصر أور نامو كان يركز على التعويض المادي كأداة رئيسية، ويعتبر الجلد استثناءً للجرائم التي تمس المقدسات. إحدى نقاط الضعف في هذه المادة أنها لا تشترط شهوداً على القذف نفسه، بل تشترط فقط عدم وجود شهود على الزنا. هذا يعني أنه يمكن لرجل أن يقذف امرأة في الخفاء (دون شهود) ولا يمكنها إثبات ذلك، لأنها تحتاج إلى شهود على القذف وليس على الزنا. الفجوة القانونية واضحة.(٦٣)

هذا النص أكثر تطوراً وتعقيداً. أولاً: يعاقب على فعلين: الضرب الجسدي والتشهير اللفظي (الكلام القبيح)، مما يعني أن القانون يضع العنف الجسدي واللفظي في نفس الإطار العام. ثانياً: يشترط أن يكون الفعل «في السوق أو في مجلس الشرب» (أي مكان عام) ويشترط ثلاثة شهود. هذا التمييز بين العلني والخاص حاسم: فالقذف الخاص لا عقوبة فيه، لأن الضرر الاجتماعي أقل أو يمكن إصلاحه بشكل غير رسمي. ثالثاً: العقوبة المالية ٣٠ شيقلات (أكثر بستة أضعاف من غرامة أور نامو للامرأة العادية)، وإذا كانت المرأة متزوجة ترتفع الغرامة إلى ٥٠ شيقلات (٤٠ للزوج +١٠ للأب). هذا يعني أن القانون يعتبر أن الضرر يطال الزوج (شرفه) والأب (مهره وسمعته) وليس فقط المرأة. إنها نظرة قانونية «أبوية» حيث المرأة ليست طرفاً مستقلاً في الضرر، بل محوراً يتقاطع عنده شرف الرجال المرتبطين بها. رابعاً: العقوبة الجسدية: جلد ٥٠ جلدة أمام باب المدينة، أي عقوبة عار علني حيث يُذل الجاني أمام نفس الجمهور الذي أذل به الضحية. خامساً: استثناء القذف في المنزل دون شهود يخلق ثغرة كبيرة، حيث يمكن للزوج أن يشتم زوجته أمام أطفاله أو خدمه (دون شهود خارجيين) دون عقوبة. كما يمكن لشخصين متواطئين أن يتبادلا القذف في المنزل دون خوف. هذه الثغرة تشير إلى أن القانون الآشوري كان يحمي السمعة العامة أكثر من الكرامة الشخصية، وكان يفضل عدم التدخل في الخصوصية المنزلية.

هناك خمسة محاور رئيسية للمقارنة. الأول: شدة العقوبة – غرامة أور نامو (٥–١٠ شيقلات) مقابل غرامة آشورية (٣٠–٥٠ شيقلات)؛ العقوبات الآشورية أشد بستة إلى عشرة أضعاف، مما يعكس تصاعداً في الردع القانوني مع مرور الزمن. الثاني: التنوع في العقوبات – أور نامو تعتمد على الغرامة المالية بشكل أساسي مع الجلد فقط للكاهنة؛ آشور تجمع بين الغرامة المالية الكبيرة والجلد العلني، مما يخلق رادعاً مزدوجاً (مادي وجسدي ومعنوي). الثالث: مراعاة السياق – أور نامو لا تفرق بين القذف العلني والخاص؛ آشور تفرق بوضوح وتجرم فقط العلني، مما يعكس فهماً أكثر دقة للضرر الاجتماعي. الرابع: مراعاة الحالة الاجتماعية – أور نامو تفرق فقط بين امرأة عادية وكاهنة؛ آشور تفرق بين عزباء ومتزوجة، وتوزع التعويض على الزوج والأب، مما يعكس تنظيماً قانونياً أكثر تعقيداً وحساسية للهيكل العائلي. الخامس: الفجوات القانونية – أور نامو تعاني من فجوة إثبات القذف في الخفاء؛ آشور تعاني من فجوة إعفاء القذف الخاص في المنزل. لكن فجوة آشور أشد خطأ لأنها تسمح بالعنف اللفظي المنزلي دون عقاب، وهذه ثغرة استمرت في القوانين حتى العصر الحديث في بعض المجتمعات.(٦٤)

تطور التشريع الرافدي من أور نامو إلى آشور الوسطى أظهر اتجاهاً نحو تشديد العقوبات، وتنويعها، ومراعاة السياق المكاني والاجتماعي للعنف اللفظي. لكن كلا التشريعين ظل محدوداً بفجوات كبيرة: أولهما، عدم تغطية جميع أنواع العنف اللفظي (فقط القذف بالزنا والتشهير العام). ثانيهما، الاعتماد على نظام الشهود الذي كان صعباً على الفقراء والضعفاء توفيره. ثالثهما، التسامح مع العنف اللفظي داخل الأسرة (في آشور) أو تجاهله (في أور نامو). رابعهما، النظرة الأبوية التي تجعل المرأة ليست ضحية مستقلة بل وسيطاً لشرف الرجال. ومع هذه العيوب، تبقى القوانين الرافدي ة إنجازاً تاريخياً كبيراً في الاعتراف بأن الكلمة يمكن أن تكون جريمة، وأن المجتمع بحاجة إلى حماية مواطنيه من أذى اللسان كما يحميهم من أذى اليد.(٦٥)

الخاتمة:

لقد تناولنا في هذا البحث العديد من الجوانب المختلفةللعنف اللفظي من مفهوم وأسباب ولعل ابرز ماتوصلنا اليه هوان الوقاية من العنف اللفظي تبدا من التربية السليمة ،العائلة هي العنصر الاساسي في توليد واشاعة ونشر العنف اللفظي ، وتكوين مجتمع غير سليم في بيئة العمل اوبين الازواج ،وهذا العنف هو ليس مجرد كلمةجارحة بل هي انتهاكاً للكرامة والحقوق، وان هذه المسؤولية لاتقع على العائلة فقط او شخص فرد ولكن هي مسؤولية مجتمع برمته، وتظافر الجهود العائلية والمجتمعية ووسائل الاعلام وصناع القرار ، فبناء المجتمعات المتقدمة تبدا من الكلمة .

إن ما توصل إليه هذا البحث من نتائج يتجاوز بكثير مجرد وصف ظاهرة تاريخية في حضارة قديمة، بل يقدم لنا مرآة نرى فيها انعكاس واقعنا المعاصر. فالعنف اللفظي في بلاد الرافدين لم يكن مختلفاً في جوهره عن العنف اللفظي الذي نمارسه اليوم في بيوتنا ومدارسنا وأعمالنا وشوارعنا ووسائل التواصل الاجتماعي. الفرق الوحيد هو أننا اليوم نملك من الوعي والنظريات النفسية والقوانين ماكان يمتلكه السومريون والبابليون والآشوريون بشكل بدائي. ومع ذلك لا نزال نعاني من نفس المشكلة، بل ربما تفاقمت بسبب اتساع دائرة التواصل وسهولة نشر الكلمة الجارحة لملايين الناس في ثوان معدودة. لقد رأينا كيف كانت الأسرة الرافدي ة تنتج أطفالاً عنيفين لفظياً عندما كان الأب قاسياً. ورأينا كيف كانت المدرسة السومرية تعزز هذا العنف بدلاً من الحد منه. ورأينا كيف كانت القوانين تحاول ردع القذف والتشهير لكنها كانت تفشل في حماية الضعفاء داخل جدران المنزل. ورأينا كيف كان حتى الحكماء كأحيقار يلجأون إلى العنف اللفظي كوسيلة أخيرة للوعظ عندما تفشل كل الوسائل اللطيفة. وهذا كله يثبت أن العنف اللفظي ليس مجرد سلوك فردي شاذ، بل هو ظاهرة بنيوية ترتبط بكيفية تنظيم المجتمع لعلاقاته، وتوزيعه للسلطة، وتعليمه لأبنائه، ومعاقبته للمعتدين، وحمايته للضحايا. إن التأكيد الذي ختمنا به البحث على أن «بناء المجتمعات المتقدمة يبدأ من الكلمة» ليس مجرد شعار عاطفي، بل هو حقيقة علمية تؤكدها الدراسات الحديثة في علم النفس الاجتماعي والاقتصاد السلوكي. فالمجتمعات التي تحترم كلمة الفرد وكرامته هي مجتمعات تنتج إبداعاً وابتكاراً وثقة، بينما المجتمعات التي تسمح بالعنف اللفظي بحق الضعفاء تنتج أفراداً مكسوري الثقة، إما أن يتحولوا إلى معتدين جدد يستمرون في دورة العنف، وإما أن يتحولوا إلى ضحايا صامتين يبتلعون إهاناتهم ويكتمون غضبهم حتى ينفجر على شكل أمراض نفسية أو عنف مدمر في لحظة ما. وإذا أردنا أن نتعلم من بلاد الرافدين، فعلينا ألا نكرر أخطاءهم. فالمدرسة السومرية كانت أول مدرسة في التاريخ لكنها فشلت في تعليم التلاميذ كيف يختلفون دون أن يهينوا بعضهم، والقوانين الرافدي ة كانت سباقة في تجريم القذف لكنها فشلت في تطبيق العدالة على الأقوياء داخل الأسرة، ونصائح أحيقار كانت ملينة بالحكمة لكنها كانت قاسية لدرجة أنها ربما دفعت نادن إلى مزيد من التمرد بدلاً من تقويمه. الدرس الذي نستخلصه هو أن الوقاية من العنف اللفظي تحتاج إلى ثلاث ركائز متكاملة: الأولى هي التربية العائلية القائمة على الاحترام المتبادل والحوار وليس على القهر والعقاب البدني أو اللفظي، الثانية هي المؤسسات التعليمية التي تعلم الأطفال مهارات التواصل غير العنيف وحل النزاعات بالكلمة لا بالضرب ولا بالشتيمة، الثالثة هي القوانين التي تحمي الضحايا فعلاً وليس فقط على الورق، وتوفر آليات سريعة وعادلة للتعويض والردع. لكن كل هذه الركائز لن تنجح إذا لم يكن هناك وعي مجتمعي عام بأن الكلمة ليست مجرد صوت يخرج من الفم، بل هي سلاح يمكن أن يقتل كما يقتل السيف، ويمكن أن يبني كما تبني الهندسة المعمارية. والخيار بين أن نكون بنائين أو هدامين بألسنتنا هو خيار نصنعه كل يوم في كل علاقة نعيشها.

الهوامش:

(١) ابن منظور ، محمدبن مكرم ، لسان العرب، ج١ ، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣)،ص٢٣١

(٢) بدوي ، احمد زكي ، معجم المصطلحات (بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٦)، ص٤٤١

(٣) العجال ،لامية، العنف ضد المراة في قانون العقوبات الجزائري ،المجلة الشاملة للحقوق ، كلية الحقوق والعلوم السياسية

،٢٠٢١،ص٩٦
(٤) رشيد، فوزي. الشرائع العراقية القديمة. دار الرشيد للنشر، ١٩٨١،ص١٢
(٥) Eertink, Mark. Pardon My Sumerian: A Typology of Insults and Offensive Language in the Old Babylonian Lexicon. Universiteit Leiden, 2022.P7
(٦) سوسة، أحمد. حضارة الرافدين بين الساميين والسومريين. دار الرشيد، ١٩٨٠،ص٩
(٧) سليمان، عامر. القانون في العراق القديم. دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٧،ص٣٣
(٨) العبار ، سعد خليفة ، العقوبة والتشهير في الفقه الاسلامي ، (ليبيا: بنغازي ،٢٠١٨)ص٧
(٩) محمد، نصار خليل، العقوبة بالتشهير في الفقه الاسلامي، (دبي: مجلة كلية الدراسات الاسلامية العربية،١٩٩٨) ع١٥،ص١٢٦
(١٠) الطالبي، احلام سعد الله، نظام التقاضي في العراق القديم ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الموصل ، ١٩٩٩، ص١٦٧
(١١) Matuszak, Jana. «She was Dumbstruck and Took it to Heart: Form and Function of Insults in Sumerian Literary Disputations.» Disputation Literature in the Near East and Beyond, De Gruyter ,٢٠٢٠. P١٠
(١٢) حنون، نائل. شريعة حمورابي. بيت الحكمة، ٢٠٠٣،ص١٣
(١٣) رشيد، فوزي. الشرائع العراقية القديمة. دار الرشيد، ١٩٨١ ،ص١٧
(١٤) الأسود، حكمت بشير. دراسات في تاريخ الحضارات والقوانين. ٢٠٠٢،ص٤٥
(١٥) فرزات، محمد حرب. دول وحضارات في الشرق العربي القديم. دمشق، ١٩٩٤،ص١٥
(١٦) قريشي ، عبد الكريم ، السلسلة التربوية ، العنف في المؤسسات التربوية (الجزائر : دار هومة،٢٠٠٣)ص١٣
(١٧) الوردي، علي. دراسة في طبيعة المجتمع العراقي. بغداد، ١٩٦٥.
(١٨) Baten, Joerg. «Trends in Interpersonal Violence in the Ancient Near East.» ResearchGate, 2020.P39
(١٩) الطائي، سمير. العنف السياسي في بلاد الرافدين: دراسة في جذوره التاريخية. دار دجلة، ٢٠٠٧،ص٤٥
(٢٠) Mich:maffsoliet andry bruston(andre)violence ettransgressioned: an- thropos.pp35.36.pris1979
(٢١) عيساوي، صابر،العنف الاسري الموجه ضد الاطفال، (الملتقى الوطني الثاني)، ص ١٠١
(٢٢) سليمان، عامر. القانون في العراق القديم. دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٧، ص ١٣٠.
(٢٣) بوزون،بنة،العنف الاسري وخصوصية الظاهرة البحرينية،(المركز الوطني للدراسات البحرينية، البحرين،٢٠٠٤)ص٤٤
(٢٤) باقر، طه ، ملحمة كلكامش ، ص٦١
(٢٥) احمد ، ابراهيم السيد، جرائم السب والقذف والبلاغ الكاذب ،(القاهرة: دار الكتب القانونية،٢٠٢٣)ص٨
(٢٦) كزار، زينب حمود. العنف ضد المرأة في العراق القديم. كلية التربية، جامعة كربلاء، ٢٠٢١، ص ٢٥.
(٢٧) الوردي، علي. دراسة في طبيعة المجتمع العراقي. مطبعة العاني، ١٩٦٥، ص ٩٤.
(٢٨) Finkelstein, J. J. «The Laws of Ur-Nammu». Journal of Cuneiform Studies, 1969, p. 524.
(٢٩) منصور ، محمد جميل يوسف ،قراءات في مشاكل الطفولة، (جدة: مطبعة تهامة،١٩٨٥)ص١٦٤
(٣٠) سلمان ، صلاح ، ادب الحكمة في وادي الرافدين
(٣١) كريمر،صموئيل، السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم،(الكويت :وكالة المطبوعات،١٩٧٣)ص٣١٩
(٣٢) كريمر، صموئيل نوح، الموسوعة الصغيرة ،تر: ناجية المراني ،(بغداد: دار الجاحظ،١٩٨٠)ص١٩٨
(٣٣) العبيدي، حياة إبراهيم محمد. «المجتمع العراقي القديم: دراسة تاريخية». مجلة جامعة النهرين، ٢٠١٥، ص ١٨.
(٣٤)رشيد، فوزي. الشرائع العراقية القديمة. دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧، ص ٩١
(٣٥) Roth, Martha T. Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor. Scholars Press, 1997, p. 81.

(٣٦) Akpınar, Mehmetcan. «False Accusations of Adultery (qadhf) in the Quran and in Near Eastern Legal Traditions.» ResearchGate, 2022, p. 252.
(٣٧) المصدر نفسه ص٢٥٤
(٣٨) فريحة ، انيس،احيقار.(بيروت: منشورات كلية العلوم والاداب، ١٩٦٢)ص٢٢
(٣٩) المصدر نفسه،ص ٧٠
(٤٠) فريحة ، انيس،احيقار،ص٧٥
(٤١) المصدر نفسه ،ص١٠٤
(٤٢) Dollard,L,W,others,frustration and aggression,NewHaven,yalluniveraity prass,1962,p.345
(٤٣) فريحة ، انيس،احيقار،ص١٠٥
(٤٤) الحميسي، عضيد جواد. التعليم في بلاد الرافدين. دراسات في التاريخ والتراث، ٢٠٢٤.ص١٤
(٤٥) Mittermayer, Catherine. «Learning Rhetoric through Sumerian Disputations.» Back to School in Babylonia, 2023.P25
(٤٦) كريمر، صموئيل نوح. من ألواح سومر. ترجمة طه باقر، مكتبة المثنى، ١٩٧٣.ص٥٠
(٤٧) ماجدي، خزعل. أدب وادي الرافدين. ٢٠١٥.ص٤١
(٤٨) سلمان، صلاح رميض. أدب الحكمة في بلاد وادي الرافدين. ١٩٩٩.ص١٠٩
(٤٩) Jimenez, Enrique. The Babylonian Disputation Poems. Brill, 2017.P70
(٥٠) Brock, Sebastian. «The Dispute Poem: From Sumer to Syriac.» Journal of the Canadian Society for Syriac Studies, 2009.P37
(٥١) الماجدي، خزعل. كتاب إنكي: الأدب في وادي الرافدين. ج٢/١، ٢٠١٥.ص١٠١
(٥٢) أبرم، هزار. «قصة أحيقار: أقدم أثر فلسفي في بلاد الرافدين». جامعة حلب، ٢٠٠٧.ص٦٢
(٥٣) اشا، سهيل. حكمة أحيقار وأثرها في الكتاب المقدس. دار بيبلوس، ٢٠٠٥.ص٦٦
(٥٤) سلمان، صلاح رميض. أدب الحكمة في بلاد وادي الرافدين. بغداد، ١٩٩٩.ص٨١
(٥٥) الوردي، علي. دراسة في طبيعة المجتمع العراقي. مطبعة العاني، ١٩٦٥، ص ٦٦.
(٥٦) Roth, Martha T. Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor. Scholars Press, 1997, p. 81.
(٥٧) Akpınar, Mehmetcan. «False Accusations of Adultery (qadhf) in the Quran and in Near Eastern Legal Traditions.» ResearchGate, 2022, p. 252.
(٥٨) رشيد، فوزي. الشرائع العراقية القديمة. دار الرشيد، ١٩٨١.
(٥٩) سليمان، عامر. القانون في العراق القديم. جامعة الموصل، ١٩٨٧.
(٦٠) سليمان، عامر. موسوعة القانون في العراق القديم. دار ابن الأثير، ٢٠١٤.
(٦١) العبيدي، حياة إبراهيم محمد. «المجتمع العراقي القديم: دراسة تاريخية». مجلة جامعة النهرين، ٢٠١٥، ص ١٨.
(٦٢) سليمان، عامر. العراق في التاريخ القديم. دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩٢، ص ١٢.
(٦٣) Bourdieu, Pierre. Language and Symbolic Power. Edited by John B. Thompson, translated by Gino Raymond and Matthew Adamson, Polity Press, 1991, p. 166.

(٦٤) الجبوري، علي ياسين. قاموس اللغة الأكدية. هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ٢٠١٠، ص ٢٣٤.

(٦٥) Michalowski, Piotr. «Sumerian Literature: An Overview.» Civilizations of the Ancient Near East, edited by Jack M. Sasson, Scribner, 1995, p. 2279.

المصادر والمراجع :

المصادر والمراجع العربية :

١. ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. ج١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣.
٢. أبرم، هزار. «قصة أحيقار: أقدم أثر فلسفي في بلاد الرافدين». جامعة حلب، ٢٠٠٧.
٣. أحمد، إبراهيم السيد. جرائم السب والقذف والبلاغ الكاذب. القاهرة: دار الكتب القانونية، ٢٠٢٣.
٤. الأسود، حكمت بشير. دراسات في تاريخ الحضارات والقوانين. ٢٠٠٢.
٥. اشا، سهيل. حكمة أحيقار وأثرها في الكتاب المقدس. دار بيبلوس، ٢٠٠٥.
٦. باقر، طه. ملحمة كلكامش.
٧. بدوي، أحمد زكي. معجم المصطلحات. بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٦.
٨. بوزون، بنة. العنف الأسري وخصوصية الظاهرة البحرينية. البحرين: المركز الوطني للدراسات البحرينية، ٢٠٠٤.
٩. الجبوري، علي ياسين. قاموس اللغة الأكدية. هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ٢٠١٠.
١٠. حمون، نائل. شريعة حمورابي. بيت الحكمة، ٢٠٠٣.
١١. الخميسي، عضيد جواد. التعليم في بلاد الرافدين. دراسات في التاريخ والتراث، ٢٠٢٤.
١٢. رشيد، فوزي. الشرائع العراقية القديمة. دار الرشيد للنشر، ١٩٨١.
١٣. رشيد، فوزي. الشرائع العراقية القديمة. دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧.
١٤. سلمان، صلاح رميض. أدب الحكمة في بلاد وادي الرافدين. بغداد، ١٩٩٩.
١٥. سليمان، عامر. القانون في العراق القديم. دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٧.
١٦. سليمان، عامر. العراق في التاريخ القديم. دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩٢.
١٧. سليمان، عامر. موسوعة القانون في العراق القديم. دار ابن الأثير، ٢٠١٤.
١٨. سوسة، أحمد. حضارة الرافدين بين الساميين والسومريين. دار الرشيد، ١٩٨٠.
١٩. الطائي، سمير. العنف السياسي في بلاد الرافدين: دراسة في جذوره التاريخية. دار دجلة، ٢٠٠٧.
٢٠. الطالبي، أحلام سعد الله. نظام التقاضي في العراق القديم. أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، ١٩٩٩.
٢١. العبار، سعد خليفة. العقوبة والتشهير في الفقه الإسلامي. ليبيا: بنغازي، ٢٠١٨.
٢٢. العبيدي، حياة إبراهيم محمد. «المجتمع العراقي القديم: دراسة تاريخية». مجلة جامعة النهرين، ٢٠١٥.
٢٣. العجال، لامية. «العنف ضد المرأة في قانون العقوبات الجزائري». المجلة الشاملة للحقوق، كلية الحقوق والعلوم السياسية، ٢٠٢١.
٢٤. عيساوي، صابر. «العنف الأسري الموجه ضد الأطفال». الملتقى الوطني الثاني.
٢٥. فرزات، محمد حرب. دول وحضارات في الشرق العربي القديم. دمشق، ١٩٩٤.
٢٦. فريحة، أنيس. أحيقار. بيروت: منشورات كلية العلوم والآداب، ١٩٦٢.
٢٧. قريشي، عبد الكريم. السلسلة التربوية، العنف في المؤسسات التربوية. الجزائر: دار هومة، ٢٠٠٣.
٢٨. كزار، زينب حمود. العنف ضد المرأة في العراق القديم. كلية التربية، جامعة كربلاء، ٢٠٢١.
٢٩. كريمر، صموئيل نوح. السومريون: تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم. الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٣.
٣٠. كريمر، صموئيل نوح. الموسوعة الصغيرة. ترجمة ناجية المراني. بغداد: دار الجاحظ، ١٩٨٠.

٣١. كريمر، صموئيل نوح. من ألواح سومر. ترجمة طه باقر. مكتبة المثنى، ١٩٧٣.
٣٢. الماجدي، خزعل. أدب وادي الرافدين. ٢٠١٥.
٣٣. الماجدي، خزعل. كتاب إنكي: الأدب في وادي الرافدين. ج١/٢، ٢٠١٥.
٣٤. محمد، نصار خليل. «العقوبة بالتشهير في الفقه الإسلامي». مجلة كلية الدراسات الإسلامية العربية، دبي، ع١٥، ١٩٩٨.
٣٥. منصور، محمد جميل يوسف. قراءات في مشاكل الطفولة. جدة: مطبعة قمامة، ١٩٨٥.
٣٦. الوردي، علي. دراسة في طبيعة المجتمع العراقي. بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٥.

المصادر الأجنبية :

1. Akpınar, Mehmetcan. «False Accusations of Adultery (qadhf) in the Quran and in Near Eastern Legal Traditions.» ResearchGate, 2022.
2. Baten, Joerg. «Trends in Interpersonal Violence in the Ancient Near East.» ResearchGate, 2020.
3. Bourdieu, Pierre. Language and Symbolic Power. Edited by John B Thompson, translated by Gino Raymond and Matthew Adamson, Polity Press, 1991.
4. Brock, Sebastian. «The Dispute Poem: From Sumer to Syriac.» Journal of the Canadian Society for Syriac Studies, 2009.
5. Dollard, L. W., et al. Frustration and Aggression. New Haven: Yale University Press, 1962.
6. Eertink, Mark. Pardon My Sumerian: A Typology of Insults and Offensive Language in the Old Babylonian Lexicon. Universiteit Leiden, 2022.
7. Finkelstein, J. J. «The Laws of Ur–Nammu.» Journal of Cuneiform Studies, 1969.
8. Jimenez, Enrique. The Babylonian Disputation Poems. Brill, 2017.
9. Maffesoli, Michel, and André Bruston. Violence et transgression. Paris: Anthropos, 1979.
10. Matuszak, Jana. «She was Dumbstruck and Took it to Heart: Form and Function of Insults in Sumerian Literary Disputations.» Disputation Literature in the Near East and Beyond, De Gruyter, 2020.
11. Michalowski, Piotr. «Sumerian Literature: An Overview.» Civilizations of the Ancient Near East, edited by Jack M. Sasson, Scribner, 1995.
12. Mittermayer, Catherine. «Learning Rhetoric through Sumerian Disputations.» Back to School in Babylonia, 2023.
13. Roth, Martha T. Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor. Scholars Press, 1997.

فصلية مُحكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (١٧) السنة الثالثة جمادى الآخرة ١٤٤٦ هـ كانون الأول ٢٠٢٥م

Al-Thakawat Al-Biedh Magazine

Website address
White Males Magazine
Republic of Iraq
Baghdad / Bab Al-Muadham
Opposite the Ministry of Health
Department of Research and Studies
Communications
managing editor
07739183761
P.O. Box: 33001
International standard number
ISSN 2786-1763
Deposit number
In the House of Books and Documents
(1125)
For the year 2021
e-mail
Email
off reserch@sed.gov.iq
hus65in@gmail.com

فصلية مُحكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (١٧) السنة الثالثة جمادى الآخرة ١٤٤٦ هـ كانون الأول ٢٠٢٥م

general supervisor

Ammar Musa Taher Al Musawi

Director General of Research and Studies Department

editor

Mr. Dr. fayiz hatu alsharae

managing editor

Hussein Ali Mohammed Al-Hasani

Editorial staff

Mr. Dr. Abd al-Ridha Bahiya Dawood

Mr. Dr. Hassan Mandil Al-Aqili

Prof. Dr. Nidal Hanash Al-Saedy

a.m.d. Aqil Abbas Al-Rikan

a.m.d. Ahmed Hussain Hai

a.m.d. Safaa Abdullah Burhan

Mother. Dr.. Hamid Jassim Aboud Al-Gharabi

Dr. Muwaffaq Sabry Al-Saedy

M.D. Fadel Mohammed Reda Al-Shara

Dr. Tarek Odeh Mary

M.D. Nawzad Safarbakhsh

Prof. Noureddine Abu Lehya / Algeria

Mr. Dr. Jamal Shalaby/ Jordan

Mr. Dr. Mohammad Khaqani / Iran

Mr. Dr. Maha Khair Bey Nasser / Lebanon